المهداوي كما عرفته

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

العدد (1675) السنة السابعة

الاثنين (14) كانون الاول 2009

6

يونس بحري: هاي هتلر

15

تاريخ أرقام السيارات في بغداد

صفحات من حياة نازك الملائكة

اللقاء الاول بمحمد عبد الوهاب

نازك الملائكة

د. حياة شرارة

في بداية تموز ١٩٤٧ سافرت نازك الى بلودان في سوريا كانت اقامتها في بلودان حافلة باللقاءات والدعوات غير ان حادثة مفاجئة جميلة اترعت فؤادها بروعتها، وتركت فيها سعادة لاتنسى، كانت تمشي في ممر الفندق واذا بها ترى على مقربة منها الموسيقار محمد عبدالوهاب، وزوجه نهلة القدسي، غمر الفرح قلب نازك لهذا اللقاء الذي جاء على غير موعد والذي كان حلما من احلام الطفولة امتد عبر السنين الطوال وتجسد امامها حيا مفعما بالهناء، خفت خطواتها عفويا نحوه، وقدمت نفسها بتواضع ومدت يدها مصافحة اياه، انتقل البشر والسعادة منها الى وجه موسيقارنا الكبير، فامامه تقف شاعرة العرب المشهورة بابتسامتها الهادئة وعينيها الحالمتين الذكيتين وهو لايكاد يصدق بصره، اعرب لها عن سعادته الغامرة لالتقائه بها، بالشاعرة التي هي اشهر من نار على علم، على حد تعبيره، واجابته بتواضعها المشهود وابتسامتها الهادئة، انها مهما بلغت من الشهرة فسيظل اشهر منها لان اسمه يملأ اجواء العالم العربي وبيوته منذ عقود من السنين غير ان محمد عبد الوهاب اصر على ان نازك اكثر منه شهرة.

كان الموسيقار الكبير قد وصل الى بلودان قبيل يوم واحد من التقائها به، رأته بعد ذلك مرات عديدة وجلست مرة معه ساعة بكاملها واخذا يتحدثان في موضوع اثير عليهما، يحمل معنى البقاء والوجود نفسه في فكرهما، انه موضوع الشعر والموسيقى والغناء والتمثيل فنازك تحب اغاني محمد عبدالوهاب منذ طفولتها، تحفظها وتعزف موسيقاها وتغنيها امام اهلها والناس المقربين منهم او تترنم بها بمفردها، فالغناء والموسيقى كالماء والهواء والشعر لاتستطيع نازك ان تعيش بدونها، وكانت تحمل العود معها في تجوالها وترحالها، وها هي الان قد حملته معها من الكويت الى بلودان لتعزف عليه كل صباح وتغني بعضا من اغاني محمد عبدالوهاب او فيروز او عبدالحليم حافظ.

تحدثت نازك مع محمد عبدالوهاب عن عشرات من اغانيه القديمة والجديدة عن الحانها وتأليفها وموسيقاها، ابدت ملاحظاتها عنها وكانت تتلو اشطرا منها احيانا، فيصاحبها محمد عبدالوهاب في التلاوة ويبتسم او يضحك كان يصغي الى نازك باهتمام شديد وفرح غامر وهو يراها تحيط احاطة شاملة باغانيه، وتستوعبها وتتذوقها وتحفظها، ولها اراؤها المتفردة فيها.

بدت عليه السعادة التي تغمر الفنان عندما يرى مستمعا عميق التذوق والفهم والحب لاغانيه، فلا احب لنفس الفنان من مستمع متضلع بمعرفة فنه، بدا عليه انه يعيش ساعة رائعة من الساعات النادرة المشهودة في عمره، لقد طاب له ان يتحدث الى شاعرة رقيقة الحس واسعة الاطلاع على فنه في زمن اتجهت فيه الموسيقى والاغنية العربية الى التدهور والهبوط حسب رأيه، قال لها صار المستمع يتذوق الموسيقى بيده لابسمعه، ويقصد بها الهوسات والتصفيق والصخب المصاحب للاغاني، اضافة الى ذلك كان يعاني مسألة اخرى ترتبط بالغناء والموسيقى، فقد كان يفتقد وجود ناظمين جيدين للاغنية مثل احمد شوقي الذي غنى كثيرا من قصائده وكانت تربطه به رابطة فنية وروحية قوية.

بعد تناولها اغانيه بالتعليق وابداء ملاحظاتها عنها، حدثته نازك عن المكانة الفنية الرفيعة التي يشغلها في منزلهم وعن مشاعر الحب والاعجاب التي يكنها له افراد اسرتها ولاسيما اختها احسان، حدثته عن انتظارها لموعد اغانيه في الراديو في السنوات البعيدة الماضية وكيف كانتا تسهران معا حتى الساعة الثانية صباحا لتسمعانه وهو يغني (حياتي انت) او (اغنية الفن) او ليالي كيليوبترا، بوغيرها من اغانيه الجميلة طاب له ان يعرف بوجود مستمعة ثانية شغوفة باغانيه ومقدرة لفنه، فسألها عما تعمل احسان، اخبرته انها مدرسة للغة العربية وانها اديبة لها ابحاث كثيرة في الادب العربي، صمت المغني الكبير لحظة وكأنه يعمل التفكير فيما حدثته به، ثم قال لها فجأة ، ارجو ان تبلغيها تحياتي، اضاف وقد بدا عليه السرور والرضا وارتسمت ابتسامة عذبة على وجهه انتم مستمعون ممتازون، لم تكن فرحة نازك الكبيرة برؤية محمد عبدالوهاب مكتملة، كانت في اعماقها تتنغص لاحسان لعدم مشاركتها لها فرحة اللقاء الذي يمثل امنية عزيزة من اماني العمر، ان احسان اقرب اخواتها الى نفسها منذ الطفولة ورفيقتها في درب الادب والفن، وقد مر امام ناظريها شخص اختها عندما كانت تتحدث مع الموسيقار الكبير.

جرى لقاء ثان بينهما اثناء وجودهما في بلودان.

مسك عبدالوهاب بخيط الحديث هذه المرة، بعد ان كانت نازك قد فصلت الحديث عن فنه في جلستهما الاولى، تكلم عبدالوهاب على نازك، وكان شديد الاعجاب باسمها، قال لها انه اجمل اسم سمعه في حياته ولايمكن ان يوجد اجمل منه، تغزل بجمالية لفظه وشاعريته حوالي خمس دقائق وبعدها اخذ يتساءل كيف يمكن ان يجتمع هذان الاسمان معا: نازك والملائكة، نطقهما مرة اخرى ببطء وتؤدة كأنه يستمتع بموسيقى حروفهما وروعتهما ويتأمل حقيقتهما، فربما يكونان من ابتكار نازك وابداعها!، وبعد ان لفظهما بتمهل اعرب عن شكه بأن يكون هذا اسمها الحقيقي، وسألها، احقا انه اسمك ام هو الاسم الادبي المستعار الذي تحبين ان يعرفه الناس به، ضحكت نازك وردت وهي ماتزال تضحك: انه اسمي الحقيقي فقال، عجبا،! مرة واحدة نازك والملائكة معا، هلا اخبرتني لماذا سماك ابوك بنازك؟ روت له حكاية الثائرة السورية نازك العابد التي كان والدها معجبا بها، قال، طيب ومن اين اتت الملائكة، ياله من اسم جميل! هل هو اسم العائلة او اسم الاب؟ اجابته ان جارهم الشاعر عبدالباقي العمري هو الذي اطلق عليهم هذا اللقب لان اجدادها كانوا بهدوئهم شبيهين بالملائكة.

مبدعي الأغنية والموسيقى والاغنية والشعر والنقد العربي وتركا اثارهما بحروف محفورة عميقا على صفحة تاريخه، اهدت نازك له نسخة من ديوانها الذي صدر بمجلدين عن دار العودة في لبنان، اعجبت موسيقارنا الصورة المرسومة على غلافه رغم ان نازك اعتبرتها صورة رديئة اخذتها على عجلة من امرها بناء على طلب دار العودة لها بشكل مفاجئ فاضطرت الى اخذها دون ان تستعد لها، ظنت الشاعرة ان عبدالوهاب كان يجاملها في امتداحه الصورة، غير انه كان في حقيقة الامر صادقا فيما يقوله، كان ذهنه قد رسم لها صورة جميلة، صورة الشاعرة المرهفة الاحاسيس، ذات الذوق الفني الرفيع التي تجيد العزف والغناء وتتمتع بثقافة عميقة ومشاعر دافئة صافية، امرأة قل نظيرها، وقد منّ القدر عليه بلقائها، رأى الموسيقار على صورة غلاف ديوانها كل هذه السمات التي ارتسمت في ذهنه واستقرت فيه الى الابد، فظهرت امامه جميلة رائعة.

جريدة الجمهورية اذار 1982

محمد عبد الوهاب

في ختام تلك اللقاءات الجميلة بين

الشاعر الحبوبي مع بعض رجال الدين

من اوراق مصطفى علي

هواجس ساخنة

لمـــاذا هـجـر الحـبـوبـي الـشـعـر؟

محمد سعيد الحبوبي شاعر مجيد، غني عن التعريف، نظم الشعر في صدر شبابه وابان نشأته، ثم هجره.

والسبب الذي الجأه الى ترك الشعر انه كان يحضر مجلس احد العلماء لطلب العلم فعرضت مشكلة اصولية احتدم حولها الجدل بين الحبوبي واستاذه، كل منهما يتمسك برأيه وينافح عنه، واخيرا قال له الاستاذ ما معناه: اين انت من هذا! انما انت تحسن ان تقول (ياغزال الكرخ واو وجدي عليك) وهو شطر من موشح رقيق للحبوبي، فتألم من قوله، وعده تنقصا وازدراء فترك الشعر.

هذا ما سمعت الصديق (سعد صالح) يرويه، وهو ثقة في هذا الباب لانه من ابناء النجف، ولانه شاعر، ولانه ادرك الحبوبي نفسه، ومن جمع هذه الصفات لابد ان يكون محيطا باخبار الشعراء النجفيين ونوادرهم ولاسيما معاصريه منهم..

والذي يبدو لي من مجرى الحديث او الذي استنتجته منه ان الحبوبي كان هو المصيب فيما ذهب اليه، وانه كان على حق في جداله وتمسكه برأيه، وانه كان الحن بحجته من الاستاذ وان الاستاذ حين رأى نفسه محرجا اراد ان يجد بجدله مخرجا ينتشله مما هو فيه، وان يرمي الطالب بسكاته، ويوصد باب الجدل في وجهه فجابهه بتلك الكلمة الساخرة، وكم من كلمات مثلها قضت على كثير من المواهب!.

ارى ان الاستاذ والتلميذ كليهما ملومان، وانهما كليهما جنيا على الادب، ذاك تسبب في اسكات شاعر لو ظل يمارس الشعر لاغنى الادب بشعره، ولكان له في عالم الشعر شأن اي شأن، وهذا اسكتته كلمة كان في وسعه ان يتغاضى عنها، وحملته على ان يقضي على موهبته الشعرية فيخمد جذوة حسه، ويكبت اوار شعوره، ويعق الشعر بغير ذنب اقترفه، ولا جريرة جرها يستحق ان يؤاخذ عليهما هذه المؤاخذة القاسية.

وانا، بعد هذا، اشك كل الشك في ان شاعرا حساسا، متقد العاطفة ملتهب الشعور يقوى على ان يكبح جماح عاطفته ويذرها سجينة تجيش في نفسه دون ان تجد لها منطلقا الى عالم الشعور.

اتمنى ان تقيض لي الايام من يبدل شكي يقينا اما بأن يثبت بالحجة القاطعة ان الحبوبي لم ينظم من الشعر – بعد ان صمم على هجره – مما ينفس به عن الضيق النفسي الذي يولده جيشان الشاعرية وثوران العاطفة، واما بأن يؤيد انه استجاب لداعي عاطفته وشعوره فنظم دون ان يستطيع لسلطاتهما ردا، فمن هو ياترى؟!..

الادب والمادة

على ذكر الصديق (سعد) وعلى ذكر الشعر ترجع بين الذاكرة الى سنة ١٩٣٠، فقد صادفته ذات يوم وبيدي كتاب ادبي فبادرني سائلا: ما هذا؟.

-كتاب في الادب.

-اما كفاك! اترك هذا ووجه وجهك شطر ناحية مادية تجدي عليك.

وبعد اعوام حفلت باحداث جسام تقلب خلالها بين المحاماة، والنيابة، والادارة، والوزارة اصيب بمرضه العضال الذي اودى بحياته فخسرت البلاد بموته سياسيا جريئا، وخسر اصدقاؤه صديقا ودودا..

ولما شعر باليأس من الشفاء لم يجد حمى يلجأ اليه، ولا الفا يبثه لواعج اشجانه، ولا حميما يفضي اليه بذات نفسه الا الشعر، فجمع بين آماله وآلامه، وبين ارائه وخوالج عاطفته واودعها (اشباحه الثلاثة)..

هذه القصيدة ذاع ذكرها قبل وفاته، ولما زرته بعد سماعي بها رأيته في وضع صحي سيئ وان كان يبدي تجلدا وصبرا، ويظهر قوة وشجاعة في لقاء الموت، حتى انه اعتذر الى زائريه عن ان يستقبلهم واقفا، لان المرض اقعده فلا يستطيع ان ينهض قائما من مكانه..

اذ ذاك تذكرت قولته لي، وهممت بأن اذكره بها، واقول له: انك جفوت الادب اعواما مديدة، ونحوت نحوا ماديا فعملت محاميا، ثم انصرفت الى النيابة والادارة والوزارة.

ونصحتني ان ارسم خطاك فاتبعها في حياتي، ثم انك لم تجد، الان، من يصغي الى شكواك، ولا من يتسع لتسجيل اهاتك واناتك الا الشعر.

هممت ثم عدلت خشية ان اسبب له شيئا من الالم، فأنا لا ادري ماذا سيكون وقع كلامي في نفس مريض عز عليه الدواء، ويئس من الحياة، واصبح في حاجة الى ما يخفف عنه اعباء السقم، والى ما يريحه، ويسليه، لا الى ما يحتمل ان يسبب له عسرا يضيق به صدره..

سعد صالح

غرام في غير محله

في الحرب العالمية الاولى تمكن الجيش العثماني من ان يقف في وجه الجيش الانكليزي فيحول دون زحفه الاول الى بغداد، ثم حاصره في الكوت حصارا دام امدا طويلا حاول خلاله مرات عديدة ان يفك طوقه ويفلت منه فلم يفلح، حتى اضطر الى رفع العلم الابيض فاسره الجيش العثماني.

وقيل: ان عدده كان ينيف على ثلاثة عشر ألفا، فأقامت البلاد العثمانية ولاسيما العراق حفلات كثيرة اعلنت فيها مسراتها وافراحها، وانطلقت السنة الشعراء واقلام الكتاب بهذا النصر المؤزر، وتثني على بسالة الجيش العثماني..

من تلك القصائد، او من ذلك السيل الشعري المتدفق قصيدة لا اتذكر الان لمن كانت بل اتذكر منها بيتين علقا بذهني لنشوزهما عن الغرض الذي دعا الى نظم القصيدة، فقد شاع ان بين اولئك الاسرى سيدات واوانس انكليزيات،، وبيدو ان هذا النبأ استهوى صاحبنا، وحرك في نفسه عوامل الوجد والغرام، وايقظ فيه دوافع الشوق والحنين الى الغزل والنسب وربما كان شعوره هذا تنفيسا للكرب الذي اورثته إياه تلك الحرب الضروس، فلم يتمالك ان قال:

تهادى بينهم تلك العذارى
مهفهفة المعاطف والخصور
وكم قمر منير لدنني
فواشوقاه للقمر المنير

مصطفى علي

تاريخ بارع

في محرم ١٣٣٣ للهجرة المصادف تشرين الثاني ١٩١٤ للميلاد، اي في اوائل الحرب العالمية الاولى طغى نهر دجلة فأغرق الجهة الشرقية من جانب الرصافة، وهو طغيان في غير موسمه، لان هذا النهر ورافده (الفرات) يفيضان، عادة، في فصل الربيع من كل عام، وقد أرخ عبدالرحمن البناء هذا الفيضان تأريخا بارعا فقال:

عونت داري ومن قد حل ساحتها
بقل اعوذ برب الناس والفلق
عام به الماء في تشرين حين طغى
على الرصافة قد ارخت (بالغرق)

مجلة بغداد كانون الاول 1964

شيء عن الرصافي في القدس سنة 1920

كتب الكثير عن شاعر العرب الكبير معروف الرصافي، وتناول الكتاب جوانب مختلفة من سيرته وشعره، وعلى الرغم من كثرتها وتنوعها فقد بقيت حلقات مهمة من حياة شاعرنا، بعيدة عن اقلام الكتاب وتحقيقاتهم لاسباب كثيرة، ولعل لاستاذنا الفاضل عبدالحميد الرشودي في كتابه الاخير عن الرصافي، العذر الواضح في عدم ولوجه تفاصيل سيرة الشاعر وآرائه، لانه اراد ان يقدم صورة عامة للمترجم له مالا يسع الاديب جهله، كما ان بعض كتابنا الافاضل، ابتعد – بقصد- عن الحديث حول موضوعات معينة في حياة الرصافي درءا للتقولات (كذا)، مع ان الرصافي عاش ومات فوق الشبهات وبعيدا عن كل مايشين وطنيته وحبه لوطنه وامته، فضلا عن ان حياته صارت ملكا للتاريخ ومجردة من الحساسيات الشخصية.

ومن هذه الموضوعات حياته في فلسطين وقصيدته الذائعة التي القاها في القدس سنة ١٩٢٠، وما اثير حولها من شبهات، ومقالنا محاولة اولية، لبيان (حقائق) و(طرائف) من حياة الرصافي في القدس، وكشف بعض الصفحات المطوية منها.

انتهت الحرب الكونية الاولى، وانهار الحكم العثماني في بلاد الشام والعراق، وتأسست دولة عربية في سورية ترأسها احد انجال الشريف حسين هو الامير فيصل وفي هذا الوقت كان معروف الرصافي في اسطنبول، فسر سرورا كبيرا لقيام الدولة العربية وشعر بأن منصبا كبيرا في هذه الدولة العربية ينتظره، لانه كان شاعر العرب وقصائده في العرب وامجادهم سارت بين الناس مسار الامثال، لكنه لم يفز بما كان يأمله، ولم يظفر بشيء يسير. لقد لقي من الحكومة العربية في الشام اعراضا بسبب موقفه المعارض لثورة الشريف حسين سنة ١٩١٦ ونظمه قصيدته الميمية (الديوان/ ٣/ ٥٩). واكاد اعتقد بأن حاشية الملك هي التي لعبت دورا كبيرا في عدم الاهتمام بالشاعر العربي الكبير، وربما اسروا للملك مايذكره بأن هذا الشاعر كان قد تعرض لابيه في مناسبات سابقة، واصيب الرصافي بخيبة امل كبيرة، وأحس بالضيق واليأس، ولما كان شاعرنا من الذين فطروا على عدم الاستجداء والتراجع عن مواقفه السياسية، فقد قرر العودة الى وطنه العراق.

وفي غمرة استعداده الى العراق، تصله دعوة كريمة لم تكن في الحسبان، فتدارك امره اصدقاؤه في فلسطين، اسعاف النشاشيبي وخليل السكاكيني وعادل جبر وكانوا يومئذ يتولون امر التعليم في فلسطين فترامت الى اسماعهم اخبار صديقهم الرصافي فدعوه للتدريس في دار المعلمين بالقدس، فوافق على دعوتهم ووصل القدس يوم (٣ آذار ١٩٢٠) واصاب في وظيفته الجديدة بعض الراحة والاستقرار، حيث خصص له راتب قدره ثلاثون جنيها، وسكن لائق في احد اجنحة دار المعلمين، وقد ذكر هذه الحقيقة رفائيل بطي (ت ١٩٥٦) نقلا عن اسعاف النشاشيبي (مجلة القلم الجديد العمانية، ايار ١٩٥٣).

عاش الرصافي في القدس في دعة ورخاء، محاطا بعناية اهلها الكرام وهو القائل:

اصبحت بالقدس في امن وفي دعة
وكدت من قبلها في الشام اعتقد

(الاعتقاد: ان يغلق الرجل بابه عليه فلا يسأل احدا حتى يموت جوعا وكانوا يفعلون ذلك ايام الجدب).

ومن مظاهر هذا الرخاء، قيام طلبة مدرسة الشبان في القدس بتكريم الرصافي في حفل ادبي رقيق (الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني، كامل سوافيري ص ٢٧). وقد اقتنت نظارة المعارف في فلسطين الف نسخة من ديوان الرصافي الموسوم (الاناشيد المدرسية) الذي نظمه في القدس على اقتراح الدكتور خليل طوطح، وكان يستشير بعض الموسيقيين قبل ان يبدي له موضوع النشيد لينسجم اللفظ والنغم، كما افادنا استاذنا عبدالحميد الرشودي (ذكرى الرصافي، بغداد ١٩٥٠، ص ٨٤) وقد بقي الرصافي يذكر باجلال واعجاب كبيرين حفاوة الفلسطينيين:

قد كان في الشام للايام مذ زمن
ذنب محته الليالي في فلسطين
اذ كان فيها النشاشيبي يسعفني
وكنت فيها خليلا للسكاكيني
وكان فيها ابن جبر لايقصر في
جبر انكسار غريب الدار محزون

واوحت فلسطين للرصافي بعدد من القصائد، هي: في سبيل الوطن، في ايلياء، دار الايتام، الحمد للمعلم، تحية سركيس، وخلال وجوده في فلسطين، نشرت الجرائد مقالا لشكري غانم المقيم في باريس صرح فيه بالتبرؤ من الامة العربية، فغضب الرصافي وظهرت غضبته في قصيدته (صبح الاماني) ورد على المقال ردا لامزيد عليه (الديوان/ ٣/ ٩١)

وعندما القى القائد الفرنسي (غورو) خطابه الشهير الذي تضمن روح التشفي والحقد على العرب، نظم الرصافي قصيدة لتسفيه الخطاب، سماها: العصبية في عصر المدينة (الديوان/ ٣/ ٩٩).

ومما هو طريف ان نذكر هنا، ان الاستاذ سعيد العيسى ذكر ان الرصافي والنشاشيبي والسكاكيني وجبر، كانوا يسمرون كل ليلة في بيت السكاكيني، حيث تهيئ لهم ربة البيت (ام سري) اسباب الراحة وقد ظلت

واوحت فلسطين للرصافي بعدد من القصائد، هي: في سبيل الوطن، في ايلياء، دار الايتام، الحمد للمعلم، تحية سركيس، وخلال وجوده في فلسطين، نشرت الجرائد مقالا لشكري غانم المقيم في باريس صرح فيه بالتبرؤ من الامة العربية، فغضب الرصافي وظهرت غضبته في قصيدته (صبح الاماني)

صورتها وعليها بيتان للرصافي معلقة في صدر صالون السكاكيني في القدس، حتى حلت النكبة في فلسطين..

أأم سري انت سلطانة اليها
اطاعك منه ما عصى الناس اجمعا
ولم يرَ نقصا في محياك ناظري
سوى ان كل الحسن فيه تجمعا

في اواخر سنة ١٩٢٠ جاء القدس مسشرق يهودي اسباني يدعى (بن يهودا) وحل ضيفا على (هربرت صموئيل)، المندوب السامي في فلسطين، وقد القى هذا المستشرق محاضرة موضوعها (ماضي العرب في الاندلس) حضرها عدد كبير من اهالي المدينة، تزعمهم راغب النشاشيبي رئيس البلدية، ولكي لاينحاز مقالنا الا الى الحقيقة وحدها نسوق ما رواه شاهد ثبت لهذه الحادثة التي رددها خصوم الرصافي في اكثر من مناسبة، وشاهدنا هو الاديب الفلسطيني الكبير عجاج نويهض، وقد ذكرنا الاستاذ عبدالحميد الرشودي بأمره وامر مقاله (الرصافي كما عرفته) المنشور في العدد الرابع من مجلة (الفكر العربي) في ١٥ حزيران ١٩٦٢ فلنطلع على ما كتبه من هذه الحادثة:

((..وكان الرصافي والسكاكيني وعادل جبر يجلسون معا في صدر القاعة وانتهت المحاضرة وليس فيها مما ينتقد شيء، يذكر غير ان الخيبرية اخذت تدب عقاربها من فم هربرت صموئيل، لما نهض يشكر المحاضر والحضور والمحاضرة، ثم اخذ يتطرق الى ماكان في رأسه وينقر نقرات حساسة هي عنده بيت القصيد، ومما قاله صموئيل: والان ما لنا وللذهاب الى الاندلس لنرى اثار العرب، فهنا في فلسطين، نجد من اثارهم الناطقة بحضارتهم ما ينطبق على صحة كلام المحاضر، فتلك بلاد كانت للاسبان فقدوها ثم عادوا اليها، قال لي عادل جبر ما استطيع نقله بتمام حروفه تقريبا: لما نطق صموئيل بهذه العبارة، حار الرصافي وهو بين السكاكيني يتكهرب ويتململ ثم راح يدمدم اشياء غير مفهومة وكاد يمتقع لون وجهه ومغزى صموئيل اوضح من ان يوضح اذ مراده ان اليهود عائدون الى فلسطين عودة الاسبان الى اسبانيا.

وذهب كل الى بيته، واعتكف الرصافي في غرفته الخاصة في دار المعلمين واستبد به القلق تلك الليلة، وفي الصباح استفاق على قصيدة رد فيها على مغزى ما قاله صموئيل في اليوم السابق ولكنه، وهو شاعر حر، وليس بسياسي يألف الروغان، رد على المجاملة بمثلها وبعد ذلك قال كأنه جزء من النبوءة السياسية ومنها هذا البيت:

ولكننا نخشى الجلاء ونتقي
سياسة حكم يأخذ القوم بالقهر

وبعد سبع وعشرين سنة شاء الله امتحانا للعرب ان تتحقق هذه الرؤيا.. وسرعان ما اثيرت على الرصافي عاصفة هوجاء احتجاجا على ماقاله من ابيات مجاملة، والصحيح ان ابيات المجاملة هذه كانت زائدة على المقدار، ولم ينتبه الرصافي الى ما في ذلك من شطط لايفسر بأنه ضرب من ضروب المجاملة، ولكن العاصفة التي اثيرت عليه لم تكن تخلو هي الاخرى من شطط، لانها كانت تريد النيل من راغب النشاشيبي من فوق رأس الرصافي لاسباب حزبية ضيقة، كما ضويق الرصافي وهو الرجل الحساس، نشر عادل جبر في جريدة (فلسطين) كلمة بيّن فيها ما للرصافي من حسن مقصد، وحصر المجاملة في مقتضاها لا اكثر ونوّه بمواقف الرصافي في سبيل العرب من ايام الاستانة، فتلاشت العاصفة ولكن اثرها المر بقي في نفس الرصافي))..

ونستدرك على ماقاله الاستاذ الكبير عجاج نويهض مؤرخ الحركة الوطنية الفلسطينية، ان جريدة (الف باء) المقدسية، نشرت قصيدة الرصافي غير كاملة، مما اثار بعض من عد ذلك غريبا في بابه، حتى ان احد الذين ردوا على الرصافي، اظهر ندمه الى العلامة الشيخ عبدالقادر المغربي وقال: ان الذنب ذنب مراسل الف باء الذي لم ينشر القصيدة كاملة من اول الامر فلم نعرف ماقاله معروف فيها..وبسبب هذه الضجة التي اثيرت ضد الرصافي فارق القدس مضطرا، والحقيقة ان الضجة لم تكن سوى (زوبعة داخل فنجان) كما يقولون، فسرعان ما انتهت وتلاشت آثارها، وفارق الرصافي القدس لسبب آخر لايتعلق بالحادثة بأي شكل من الاشكال وقد ذكره الرصافي فيما بعد لصديقه كامل الجادرجي..

فحواه ان الرصافي تلقى برقية من صديقه حكمة سليمان يدعوه فيها للعودة الى العراق لاسباب وطنية، وتبين ان جبهة من السياسيين العراقيين الملتفين حول (طالب النقيب) وزير الداخلية في الوزارة العراقية المؤقتة سنة ١٩٢١، ارادت اصدار جريدة سياسية لتكون لسان حال الجبهة التي نادت بفكرة (العراق للعراقيين) ولما وصل الرصافي الى بغداد وجد ان طالب النقيب قد انتهى سياسيا بنفيه الى خارج العراق وتشتت مؤيدوه وموت المشروع في مهده..

وبعد فهذه صفحة مطوية من حياة شاعر العرب الكبير معروف الرصافي، لم يشر اليها الكتّاب الا عرضا، كتبتها وصولا الى غاية رئيسية، هي دفع الشبهة، التي طالما رددها بعض الناس دون تروّ وتحقيق، راجيا ان تكون عند حسن ظن القرّاء.

جريدة الاتحاد / تشرين الاول
1986

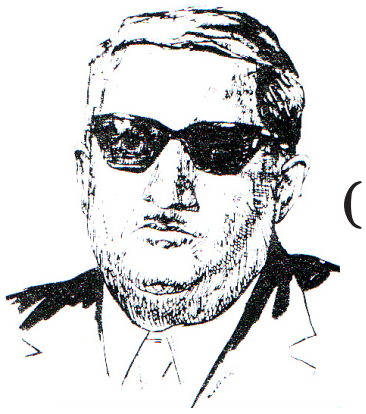

ذكريات (ايام زمان)

عبد القادر البراك

خطأ في الارادة الملكية

من الطرائف التي اوردها المرحوم الشيخ محمد مهدي كبة في الجزء الاول من مذكراته (في صميم الاحداث)، والذي علمت ان كبة انتهى قبل وفاته باشهر من وضع الجزء الثاني ومن الطرائف التي اوردها كبة:

ان الهيئة العليا لحزب الامة الاشتراكي ارادت ان تقلد احزاب (المعارضة الحقيقية) فطلبت من الاعضاء الذين لم تعارض وزارة نور الدين محمود فوزهم بالنيابة، ان يستقيلوا من النيابة تأييدا لطعن الحزب المذكور بنزاهة الانتخابات التي قامت بها الوزارة المذكورة واسفرت عن فوز الاكثرية المطلقة من اعضاء المجلس بـ(التزكية) وهو المجلس الذي اسماه فايق السامرائي في مقال افتتاحي له لاحدى الجرائد الناطقة بلسان حزب الاستقلال بأنه (مجلس الجنرال)!..

ولكن النواب الذين طولبوا بالاستقالة واعلنوا الموافقة على ان يستقيل قادة الحزب من مجلس الاعيان لانه جزء من السلطة التشريعية، الا ان القادة اعترضوا على ذلك بانهم معينون من قبل الملك، ولهذا فانهم لايستطيعون الخروج على (الارادة الملكية) فقال سوادي الحسون، احد هؤلاء الفائزين بالنيابة (ونحن اذن لانستقيل لان سمو الوصي هو الذي اوعز بانتخابنا) لذلك فقد استقالوا من الحزب مؤثرين عضوية مجلس النواب، وقد كوفئ سوادي الحسون على جوابه هذا بأن ظل محتكرا لكرسيه النيابي طوال وجود المجلس النيابي في العهد الملكي!.

ويبدو ان مثل هذه المواقف لم تكن الاولى من نوعها فقد سبقتها مواقف مماثلة، فحين قاد رشيد عالي الكيلاني معارضة وزارتي المدفعي والايوبي التي حالت دون فوز اعوانه من حزب الاخاء الوطني طلب الكيلاني من القلة القليلة من اعوانه الذين فازوا بالنيابة ان يستقيلوا فاشترطوا عليه استقالته من مجلس الاعيان فقال لهم انه معين من الملك فرد عليه النواب المعترضون ونحن كذلك معينون من البلاط!.

وهكذا فقد كانت الحياة النيابية في بعض العهود فارغة من محتواها الديمقراطي الحقيقي، والاّ فأي منطق هذا الذي يجعل (العين) يرفض تنفيذ قرار حزبه بالاستقالة من العينية لينزع الشرعية عن السلطة التشريعية في حين يطالب اعوانه من النواب بالاستقالة في حين ان (التواطؤ) على صيرورتهم اعضاء في مجلس النواب او الاعيان هو الذي مكنهم من هذه العضوية!.

بقي ان نقول ان تمسك العين بعضويته باعتباره معينا من قبل الملك يخالف روح الدستور، لان الملك انما يحكم بواسطة وزرائه وان الارادة الملكية بتعيين اعضاء في مجلس الاعيان لابد ان تكون مستهلة بالكليشة المعروفة (بناء على ما عرضه رئيس الوزراء)..

ولابد ان تكون مختومة بتوقيع رئيس الوزراء الذي ينوب عن وزرائه في اقتراح التعيين!.

وكان الموقف الدستوري السليم فيما اعلم هو موقف رؤوف الجادرجي وزير المالية في وزارة عبدالمحسن السعدون الثانية فلقد ذكر في استقالته (ان حق تعيين الاعيان من الحقوق الممنوحة الى الملك بموجب احكام القانون الاساس، الا انه نظرا الى عدم مسؤولية الملك، وحيث انه يقتضي ان تصدر الارادة الملكية تحت مسؤولية الوزراء ذوي الشأن ولما لم يكن تعيين الاعيان من الامور العائدة لوزارة واحدة، فالارادة الملكية التي تصدر بهذا الباب يتحتم ان تكون بناء على قرار يصدر من مجلس الوزراء اي يجب ان تعرض على هذا المجلس وتؤخذ موافقته قبل عرضه على الملك لاصدار ارادة ملكية!..

وقد احتفظ السعدون باستقالة رؤوف الجادرجي الذي اكدها بعد شهر من تقديمها فاجابه السعدون بقبول استقالته بالجواب التالي.. (بعد التحية: ان القانون الاساسي صريح جدا في خصوص تعيين الاعيان، اي ان هذا الامر من حقوق جلالة الملك وحده، ولذلك لا ارى اعتراضكم على تعيين (هؤلاء الاعيان) الاّ عبارة عن خلاف بيني وبينكم، ربما لاتزالون مصرين على الاستقالة فلا يسعني والحالة هذه الا قبولها)..

ومن الطريف، ان الاعيان الثلاثة الذي تم تعيينهم بموجب هذه الارادة التي استقال رؤوف الجادرجي بسببها قد جوبهت بعراقيل لم تكن بالحسبان فقد ذهبت الارادة بتعيين عبدالحسين الكليدار في كربلاء الى مدير اوقاف كربلاء، في حين كان المقصود فيها الكليدار الحقيقي الذي يحمل نفس اللقب – وقد تمسك الاول بالعضوية، كما وجه الطعن بعدم بلوغ الثاني السن القانونية وكون الثالث من اَب غير عراقي، ولكن الامور (سويت) على النحو الذي كان مألوفا في تسوية مثل هذه الامور وذكر بعض المشاغبين ان رؤوف الجادرجي كان يريد ان تسند عضوية الاعيان لغير من اسندت اليهم، ولكن هذا لم يتأكد، فقد اعتزل الجادرجي العمل السياسي في العراق وانتقل للعمل في مقر شركة النفط (العراقية) في لندن، وهو منصب كان يطمع بنواله المجاهد المعروف عزيز علي المصري ولكن الانكليز الذين كانوا يرتابون منه والملك فيصل الاول الذي كان لايأمن جانبه ويملك الانطباع الذي كان يحمله عنه والده الملك حسين حالا دون ذلك!.

والغريب ان الاعيان الذين ينكر عليهم السياسيون الملمون بالدستور العراقي من ناحيتي الشكل والموضوع بقوا يمثلون الطبقة الحاكمة ويترأسون الوزارات في حين كان المفروض ان تتألف الوزارات من النواب المنتخبين من الشعب، وقد اعترض نوري السعيد على الشيخ محمد رضا الشبيبي بأنه لايمثل الشعب لانه من الاعيان حين عارض الاخير ميثاق بغداد، فاجابه الشبيبي بأنه (وانك كذلك من الاعيان) وضحك بعض الاعضاء وعاد العضوان الى الصفاء بعد المعركة التي لم تدم اكثر من عشر دقائق!.

جريدة الجمهورية / حزيران 1977

الملك فيصل الثاني

الملك الشريف بن الحسين

عبد الإله

الملك فيص الاول

حين تخاصم النواب من اجل تمثيل الشعب

وسائل التسلية الشعبية في بغداد

الشيخ جلال الحنفي

كثيرة هي وسائل التسلية التي يتشاغل الناس بها، من اجل قطع الوقت والطريق واشغال النفس بها يخفف عنها عناء الحياة ومتاعب الاعمال..
وكان يصل الى بغداد بين فترة واخرى بعض متعاطي الالعاب السحرية، فيتعاطون اعمالهم هذه في المقاهي والطرقات، فيجتمع الناس عليهم ليشهدوا حركاتهم السحرية وتصرفاتهم الغريبة المدهشة، لقاء شيء يسير من النقد يدفعونه في مقابلة ذلك..
فكانت الناس تتحدث بهذا، فمن تسامع به ذهب الى حيث يلعب الساحر العابه فيجد في ذلك تسلية لنفسه وتسرية عن همه..
ومن وسائل التسلية عندهم الالعاب البهلوانية التي تؤدي حسب نظم وتقاليد معينة، في محال معدة لذلك يقال لها (الزورخانات) فيجتمع البهلوانية للقيام بحركاتهم الجسمية والبطولية ويحضر اجتماعاتهم هذه عدد من الناس للتفرج..
واحيانا يأتي الى بغداد بعض بهلوانية العجم وغيرهم، فيطلب الى بهلوانية بغداد منازلته ومصارعته فاذا اتفقوا على ذلك اعلنوا على الناس وقت المصارعة ومحلها فيجتمع خلق كبير لمشاهدة هذا الصراع واجدين في ذلك تسلية طيبة يقضون بها الوقت الطويل..

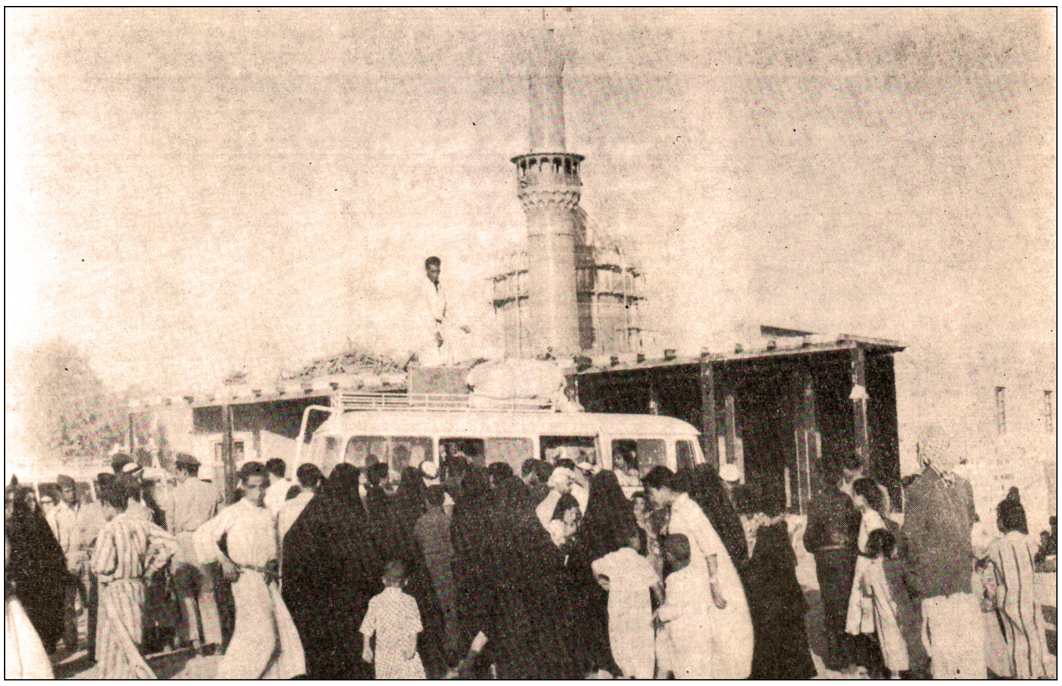

الامام السيد محمد

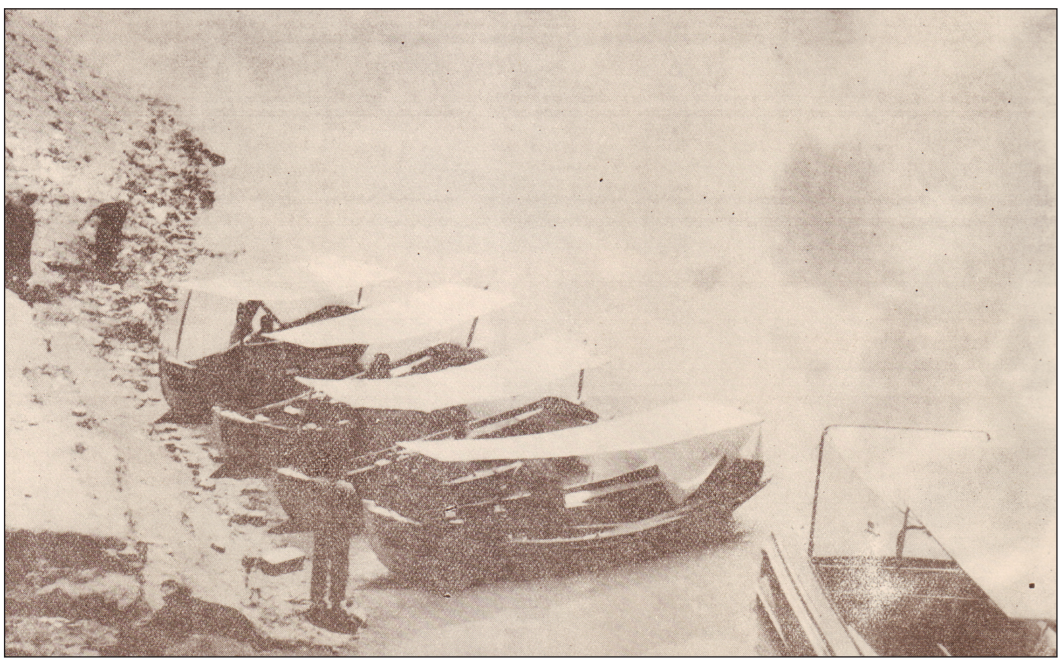

الزوارق في دجلة واسطة التسلية

ومن وسائل التسلية الحديثة اجتماع الناس لمشاهدة مباريات كرة القدم وغيرها وكان من وسائل التسلية عندهم كذلك اجتماعهم على مشاهدة سباقات الخيل في ساحات مخصصة لهذا الغرض.. وقد ازيلت هذه من بغداد قريبا لما كان يصاحبها من المقامرات وتعريض الناس للخسائر المادية الكبيرة..

اما العاب الرجال فان منها ما يجري في ليالي شهر رمضان من نحو لعبة المحيبس والصينية، ويتسلى الرجال ببعض وسائل اللهو يلعبونها في المقاهي والاندية من نحو الطاولي الذي يلعبونه بطرائق متعددة والدومنة والدامة والشطرنج والمنقلة، فمنهم من يباشر اللعب ومنهم من يتطلع الى اللاعبين..

وقضاء الرجال والشباب لكثير من الوقت في المقاهي من ابسط وسائل التسلية والالتقاء بالمعارف والاصدقاء.. وغالبا ما يمكث جلساء المقاهي الساعات الطوال في المقهى اذ يتخذونها اماكن دائمية للتخلص من اوقات الفراغ المملة سواء أكان ذلك ليلا ام كان نهارا..

ومما يتعاطاه اناس من وسائل التسلية مناقرة الديكة الهراتية، حيث يهارشون بينها ويحارشون ويتخذون على ذلك المراهنات.. فيدمى الديكان، وربما تعرض احدها للموت او فقئت عينه.. وتقع هذه المناقرة في الطرقات المكشوفة وامام المقاهي والناس ينظرون الى هذه المشاهد فيتحمسون لها ويتسلون بها..

والقائمون بمثل هذه الامور يعنون بتربية الديكة وتدريبها على المناقرة، ويتعاطون كذلك بيعها لا لغرض الذبح والاكل وانما لغرض المناقرة اذ ان لهم ارباحا يربحونها وفخارا يفخرون به.. وكانوا كذلك يناطحون الكباش على عجل يجعلونه ورهن يتفقون عليه، فتتناطح الكباش والناس تتفرج عليها..

ومن وسائل التسلية عندهم اجتماعهم في المقاهي حول قصاص يقص عليهم بصوت جهوري، قصة (عنتر بن شداد) او قصة (ابو زيد الهلالي) وغيرهما من السير المشهورة..

ويجلس القصخون على كرسي مرتفع فيقرأ في كتاب السيرة قراءة مصحوبة بالاشارات والايماءات تصويرا للموقف الذي تتحدث عنه وقائع السيرة وشحذا لنفوس المستمعين لكي يشتد انتباههم الى قراءة القاص.. فاذا تحقق ذلك سخوا عليه بالعطاء والمكافأة.. وقد زالت هذه الوسيلة المعروفة عندهم بوجود الراديو والتلفزيون وشيوعها حديثا في المقاهي وغيرها من الاماكن العامة..

واللعب بالطيور والعكوف على تربيتها والمباهاة بها، من الهوايات المعروفة لدى فريق من الناس، وهم يطيرون هذه الطيور في جو السماء استئناسا بمشهدها وهي تتجول في الجو وتستدير وتتقلب.. وكثيرا ما ترى اسراب منها متعددة، تطير هنا وهناك، وكل سرب منها محتفظ بمجموعته لايختلط بمجموعة اخرى، ولايندر طير من طيوره عن بقية الجماعة.. وللناس في هذه المشاهد تسلية واستمتاع..

ومن وسائل لهوهم وتسليتهم السباحة في الشط، وهي هواية يشترك فيها الرجال والشبان والاحداث. وهم يخرجون ايام الصيف الى المقاهي والجراديغ التي تنصب على شواطئ الانهار لقضاء الاماسي الحارة القائظة وتناول اكلات من السمك المسكوف.

واجتماع الناس في المقاهي والجايخانات وقضاء الوقت الطويل فهذا هو ايضا من ضروب التسلية وازجاء الوقت..

ومن وسائل التسلية التي كان يولع بها فريق من الشباب، خروجهم في ليالي الصيف خاصة وتجولهم في الطرقات والازقة، وهم يغنون باعلى اصواتهم حيث الناس نيام على سطوح بيوتهم.. وقد اوشكت هذه الانماط من التسلية ان تزول في ايام الناس هذه..

والخروج الى الشواطئ وركوب الابلام ونحوها من وسائط النقل النهرية، يعد من خيرة وسائل التسلية الصيفية التي يرفهون بها عن نفوسهم..

وهناك طبقات من رجال وشبابهم كانوا يخرجون الى البساتين المشهورة في بغداد فيجتمعون على الكأس والغناء، ومن هاتيك البساتين بستان الخس والكاووري..

وهناك مجموعة من القواعد الاجتماعية الشعبية تدخل في عداد التسلية منها حفلات الطهور وزفة العرس والمواليد النبوية وحفلات الذكر، فان الذين كانوا يحضرون هذه الحفلات او يشهدونها ويحضرون من بيوتهم الى مشاهدتها انما كان يسوقهم الى ذلك الرغبة في التسلية وقضاء الوقت.

ومن وسائل التسلية التي يغرم بها الشبان والصبيان، استعمال المفرقعات من نحو البوتاز والطرقات والزنابير وشخاط رحلو وعين الشمس وغيرها في مواسم معينة وخاصة ليالي المحية التي تقع في شهر شعبان احد الشهور القمرية.

ومما يتشاغل به الصبيان من وسائل التسلية ما يسمى بالحزازير- جمع حزورة- وهي الغاز يحفظونها فيمتحن كل منهم اصحابه بحلها..

وكان من اظهر وسائل التسلية الشعبية ان تخرج النساء بعد انتهاء العيد بضع جمعات الى مناطق معينة في بغداد وضواحيها، وهم يسمون ذلك بالكسلات فتكون لهم كسلة في جامع الامام الاعظم وكسلة في حضرة الامام الكاظم واخرى في جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني واخرى في السيد ادريس بالكرادة الشرقية. ومن كسلاتهم ايضا كسلة في رابعة بنت شيخ جميل..

وتأخذ النساء اطفالهن ومعهن السماورات والقدور والافرشة ليقضوا نهارهن هناك حيث يطبخن الطبيخ ويصنعن الشاي ويأنسن بذلك الجو هن واطفالهن.

ومن وسائل التسلية لدى النساء ان يخرجن كل خميس الى مقابر البلد المعروفة كمقبرة الشيخ عمر السهروردي ومقبرة باب المعظم ومقبرة الغزالي ومقبرة الشيخ معروف الكرخي فيقضين هناك شيئا من الوقت في الترحم على موتاهم وعقد الاجتماعات فيما بينهن.

ولكن الطابع العام لهذه الزيارات يغلب عليه ابتغاء التسلية والفرار من الحياة البيتية الدائمة المسئمة.

ومن وسائل التسلية عندهم اجتماعهم في المقاهي حول قصاص يقص عليهم بصوت جهوري، قصة (عنتر بن شداد) او قصة (ابو زيد الهلالي) وغيرهما من السير المشهورة..
ويجلس القصخون على كرسي مرتفع فيقرأ في كتاب السيرة قراءة مصحوبة بالاشارات والايماءات تصويرا للموقف الذي تتحدث عنه وقائع السيرة.

وهناك أيام مخصصة لزيارات اضرحة الائمة خلال السنة، ومن ذلك ايام السبت التي اتخذوها لزيارة الكاظم..

واعتاد سكان المحلات القديمة اتخاذ مجالس لهم امام بيوتهم وعلى قارعة الطريق ولاسيما النساء فانهن يجتمعن على شكل مجموعات صغيرة امام ابواب بيوتهن يقضين ما بعد العصر او اوائل الليل بالحديث.. ولا يمنعهن من ذلك ان تكون الطرقات قذرة تمر منها مجاري المياه الوسخة ولايهمهن ان تكون ضيقة او واسعة..

وخروج اهل بيت من النساء لزيارة اهل بيت اخرين من اصدقائهن او ذوي قرباهن امر مشهور وله عندهن تقاليد واصول.. فان هذه الزيارات كانت تقع مع بدء العصر.. ولكن الزائرات بعد شرب الشاي وتناول الكعك وتكريز حب الركي يرجعن الى بيوتهن لطبخ الثمن الذي كان يطبخ بعد العصر اذ كانت وجبة العشار تتناول اثر صلاة المغرب..

ثم حل نظام جديد في الزيارات النسائية اطلق عليه اسم (القبول) وتجمع اللفظة على (قبولات) حيث تعين كل عائلة من العوائل يوما تستقبل فيه زوارها.. وكانت الاصول الشعبية القديمة لاتحول دون تقبل الزوار يوميا وبلا سابق موعد..

ومن المهم الاشارة الى ان وسائل التسلية الشعبية تنشط في ايام الاعياد لاسيما بالنسبة للصبيان حيث تستغل الساحات المكشوفة المتروكة في احياء البلد فتقام فيها المراجيح ودواليب الهوا، ليركبها الصبيان وصغار الصبايا فيقطعوا ايام العيد بأمثالها من وسائل التسلية التي تمتاز بترويض الجسم وتعويده على خفة الحركة..

ومن تلك الوسائل استخدام الحمير في العيد ايضا لركوب الاحداث استمتاعا بلذة الفروسية المصطنعة، ولا يقع هذا الا في الاعياد..

وهناك مآكل تباع للصبيان لاتخلو من بعض اساليب التسلية كالجقجقدر مثلا فانه يبسط في وعاء مقطع الى خانات يكون في كل خانة منها لون من الوان الجقجقدر المصبوغ بالحمرة او الصفرة والخضرة وغيرها.. وفي منتصف الوعاء عمود قصير تعلق عليه قيدة من الحديد مثقوبة من منتصفها وعلى احد طرفيها خرزة مشدودة بخيط لتؤدي مهمة المؤشر..

فاذا جاء الصبي ليشتري من الجقجقدر لطعة فمن اجل ان لايحتار في تخير النوع الذي يريد شراءه فانه يفر القيدة حول محورها فاذا وقفت عند خانة من خانات الجقجقدر باعه البائع من النوع الذي فيها.. واحيانا يفرها له البائع بنفسه..

وهناك عربات بسيطة مكشوفة تدفع باليد يستعملها الحمالون لنقل الامتعة والاثقال في سائر ايام السنة ولكنهم يتخذونها في الاعياد وسيلة للتكسب عن طريق تسلية الاطفال والصبيان الصغار حيث يتكدس فيها العديد منهم فيدفع الحمال العربة بهم من نقطة في الشارع الى اخرى تبعد عنها دقائق قليلة..

وليس غرض الصبيان من هذه النقلة الا التباهي بركوب العربة والاستئناس بالجو المرح الذي يكونون فيه وهم جلوس بملابسهم الزاهية على لوحتها الخشبية الجرداء يصفقون ويتضاحكون.. فاذا اوصلهم الحمال الى النقطة الثانية من الشارع طلبوا العودة من حيث اتوا بأجور جديدة وقد ينزلون ليركب غيرهم.

اما الحدائق المتخذة لاجتماع الناس من نساء واطفال وغيرهم فقد كان اول ما اتخذ منها في بغداد حديقة المجيدية التي انشأها والي بغداد مدحت باشا سنة ١٢٨٦هـ فكانت حديقة شعبية عامة وهي اليوم مستشفى وعلى جزء آخر منها اقيمت حديثا مدينة الطب التي لم يكمل بناؤها بعد..

وقبل سنوات يسيرة بدأت البلديات تتخذ في عدد من المحلات ساحات مكشوفة تجعلها حدائق مزودة بادوات اللعب ليجتمع فيها الناس وتلعب الصبيان.

واشهر الحدائق العامة المعروفة لهذا الغرض حديقة بارك السعدون في محلة السعدون وحديقة النعمان في الاعظمية وحديقة المعرض في باب المعظم غير ان هذه شغلت بمرافق ومؤسسات اخرى خرجت بها عن كونها حديقة عامة..

وهناك عدة متنزهات حديقة اسست في اماكن متعددة من بغداد تخرج اليها الناس اماسي ايامهم منها حدائق السكك وحدائق القناة.

ومن وسائل تسلية الصبيان والاحداث ما يقال له (صندوك الولايات) وهو خزانة فيها عدة صور ملتصق بعضها ببعض يعرضها صاحب الصندوق على المشاهدين يعرضها صاحب الصندوق على المشاهدين من الصبيان بطريقته الخاصة لقاء اجور بسيطة زهيدة فيستمتع اولئك المشاهدون بالتطلع اليها ويغلب على هذه الصور ان تكون خاصة بملكات الجمال وبعض الابطال والشخصيات التاريخية ومناظر الطبيعة وساحات الغزو والقتال وغير ذلك..

واذا كانت الالعاب تعد من وسائل التسلية فان لهم كثيرا من انماطها وضروبها.

وقد الفت كتب في هذه النواحي منها كتاب الالعاب الشعبية لصبيان العراق تأليف عبدالستار القره غولي وكتاب الالعاب الشعبية لصبيان سامراء تأليف يونس السامرائي وكتاب العاب صبيان العمارة تأليف عبدالمحسن المفوعر وكتاب الالعاب البصرية وهذا لايزال مخطوطا لدى مؤلفه.

وكان من وسائل تسلية الناس اقامة ما يسمى بالسركس وهو استخدام الحيوانات في الالعاب ومنها السباع والفيلة فتقبل الناس على مشاهدة ذلك بشغف كبير.. وهذه السركسات يقوم بها اناس من الاجانب تكون معهم الحيوانات المروضة حيث يحلون في البلد لمدد محدودة يتكسبون فيها من ريع مدخولات السركيس.

واحيانا كانت تقام في بغداد مدينة للالعاب ووسائل التسلية.. وربما عددنا بعض انواع المقامرات من وسائل التسلية، وان وسائل التسلية الشعبية اكثر مما ذكرنا وفي ما مر يغني عما اغفلنا..

العاملون في النفط كانون الاول 1965

من متنزهات بغداد

ذكريات

نرجس شوقي

من شارع عماد الدين إلى ملاهي بغداد

حافظ القباني

برغم ان اسمها نرجس والنرجس استعان به علماء النفس لاستعماله كدليل على النرجسية وهي في عرفهم الانانية وحب الذات الى حد التحول الى مرض نفسي.. الا ان الاسم هنا لايأتي مطابقا للمسمى.. فنرجس شوقي المطربة القديرة كانت بسيطة وطيبة وتعمل بكل طاقتها لكي تقدم للاخرين فنا وطربا ومتعة نفسية وذلك عن طريق البحث عن الكلمة الحلوة واللحن التطريبي الجميل، بما يستجيب مع الذائقة الشعبية وليس ادل على ذلك اكثر من شيوع اغنياتها التي يرددها المستمعون صغارا وكبارا، وليس اصدق تعبيرا عن ذلك من اغنية:

شدعيلك يللي احركت كلبي
كون ابلوتي يبلاك ربي
مهدوم حيلك سهران ليلك
تتحسر وولفك ما يجيلك

منذ ثلاثين عاما تقريبا ولم تفقد هذه الاغنية حلاوتها وشعبيتها لدى جمهور المستمعين ونرى في هذه الكلمات ميزة شعرية يفتقر اليها الكثيرون من شعراء الاغنية هذه الايام.. فلو قرأتم الشطر السابق من هذه الاغنية لوجدتموها من حيث الايقاع وكأن الشاعر اوحى للملحن بالنغم المطلوب.. وهذه احدى ميزات الأغنية العراقة والصدق والاصالة لدى الشاعر والملحن.. اما نرجس شوقي المغنية فالحديث عنها يثير التساؤل حقا.. فهي فنانة مصرية، قدمت من حواري القاهرة الشعبية.. حيث ترعرعت فيما بعد وعملت في ملاهي شارع عماد الدين، شارع الفن الذي تخرج فيه كبار فناني وفنانات مصر من اهل الموسيقى والغناء والمسرح واساطين الدراما والمسارح الاستعراضية يكفي ان نذكر منهم نجيب الريحاني وبديع خيري وعلي الكسار ويوسف وهبي والشيخ سيد درويش..

وصلت نرجس شوقي الى بغداد ولم يخطر في بالها انها ستمكث فيها اكثر من شهر وهي فترة العقد (عقد العمل) الذي وقعته مع احد اصحاب الملاهي، واذا بالفترة تطول لتبلغ عشرين عاما، واستقبلت الاذاعة العراقية عام ١٩٤٧ هذه المطربة المصرية واسهمت في اتساع شهرتها بين المستمعين واصبحت المطربة المطلوبة دائما في الحفلات العامة والخاصة، ثم اتسع نطاق عملها ليشمل المحافظات في العراق، واحبت نرجس شوقي بغداد والبغداديين، واحترمت هذا الجمهور الواسع من العراقيين لكونها حظيت بالنجاح والاعجاب الذي لم يخطر على بالها وكانت نرجس توظب خلال فترات راحتها على زيارة المراقد والاضرحة الدينية وتوزع على المحتاجين شيئا من المال، كما انها وزعت الكثير من عواطفها على من استحقها وعلى من تنكر لها.. الا ان عواطفها تجاه الملحنين والموسيقيين كانت متوازنة فعلا لان هؤلاء الفنانين منحوا نرجس شوقي الفهم الموسيقي والادراك الدقيقين لمعنى الغناء والنغم، كما منحها الشعراء الشعبيون الحس المرهف بمعنى الكلمة وكيفية التلفظ الصحيح للهجة البغدادية، واذا كان هناك ما يميز نرجس شوقي عن المطربات العربيات اللواتي فشلن في اداء الاغنية البغدادية لحنا ولفظا وايقاعا فان نرجس استطاعت تجاوز كل هذه المراحل اللحنية واللفظية والسير مع الايقاع العراقي الصعب جدا المعروف بـ(جورجيا)..

لقد اضحت نرجس شوقي المطربة الوحيدة القادرة على سد الفراغ الذي تركته (سليمة مراد) بعد اعتزالها الفن، بل تفوقت عليها في احيان كثيرة، اذ انها لم ترضَ لنفسها ان تظل تراوح في مكانها فهي لاتؤمن بالتوقف، لذلك انتقلت الى مرحلة ليست سهلة كانت مرحلة القصيدة الشعرية المغناة، وقد سار معها في هذا السبيل الفنان العراقي المبدع (يحيى عبدالقادر) الذي ابدل اسمه الثاني فاصبح معروفا باسم (يحيى حمدي) حيث لحن لها قصيدة (ياجيرة البان) وهي من شعر المديح للسيرة النبوية الشريفة وقد سار فيها يحيى حمدي على نهج الفنان العبقري القدير رياض السنباطي صاحب الملاحم اللحنية والشعرية في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) وبرغم ان هذه القصيدة قد نجحت واخذت ما تستحقه من الذيوع والشهرة فان الحقيقة التي ينبغي لنا ان نذكرها في هذا الصدد هي ان هذه المطربة الموهوبة كانت امية لاتقرأ ولاتكتب وحظها من الثقافة والاطلاع وقراءة الشعر ضئيل جدا، وبرغم هذه الحقيقة يمكننا القول ان الارادة والتصميم لايعترفان بالمستحيل.. وقد بذل الفنان يحيى حمدي جهودا مضنية في تحفيظها شعرا ليس سهلا ولحنا مركبا مختلطا بلوازم موسيقية وضروب عديدة من الايقاع ومع ذلك وبفضل التمرينات العديدة المستمرة مع الفرقة الموسيقية فان نرجس شوقي المطربة الموهوبة استطاعت تقديم هذه الاغنية بنجاح.

ان قصيدة (ياجيرة البان) التي تحدثنا عنها وغنتها المطربة نرجس شوقي مازالت مسجلة على شريط مغناطيسي، بعد ان سجلت في البداية على (سلك مغناطيسي) وهو الجهاز الذي دخل الى الاذاعة سنة ١٩٥١.

اما زواجها فقد تم بعد ان جاء المطرب الشعبي محمد عبدالمطلب الى بغداد للعمل فيها، وبعد مرور عدة اشهر تم زواجهما في بغداد وعملا في محافظة كركوك.. وقد استغرب كل من سمع بنبأ العمل في كركوك وتفضيله على العمل في بغداد وهي العاصمة.. وسرعان ما زال استغرابنا حين اخبرنا بعض الراسخين في العلم ان عبدالمطلب ونرجس يمتلكان رصيدا عاليا من المعجبين في كركوك وقد تأكد ذلك بعد استمرارها في العمل هناك اكثر من سنة.. وقد تبين لنا في ما بعد ان نرجس شوقي ومحمد عبدالمطلب قررا العودة الى مصر لانتاج فيلم غنائي شعبي يقومان ببطولته، وظهر باسم (تاكسي حنطور) من اخراج (احمد بدرخان) وعندما عرض الفيلم كان نصيبه الفشل الذريع، وهكذا ضاع المال وتبعه ضياع الحب بين الاثنين، وعادت نرجس شوقي الى عادتها القديمة، وهي تندب حظها العاثر في الزواج والسينما ثم هاجرت الى بيروت..

سليمة مراد

الاذاعة والتلفزيون
شباط 1970

من مهملات التاريخ

صحفي مصري هزلي ظريف في بغداد

من كتب: (الهدية المصرية للخطة العراقية)؟

عندما اطلعت قبل سنوات على مخطوطة (العقد اللامع باثار بغداد والجوامع) للمؤرخ عبدالحميد عبادة (ت-١٩٣٠). وجدت طريفة ادبية وقعت ببغداد كان من اطرافها صحفي يدعى عبدالرحمن الذي كان يصدر في مصر جريدة هزلية اسمها (عفريت الحمارة) فعرفت ان صحفيا مصريا كان يقيم في بغداد عام ١٩٠٩، وكان الامر غير معروف للكثيرين-كما اعتقد- فقد وددت التحقيق في الامر والتنقيب عن تفاصيله،

رفعة عبدالرزاق محمد

عبد اللطيف ثنيان

ومما زاد في شغفي هذا ما وجدته في كتاب (لهجة بغداد العامية) للمستشرق الفرنسي لويس ماسينيون وترجمة المرحوم الدكتور اكرم فاضل، فقد اشار ماسينيون الى ان الصحفي المصري المقيم ببغداد عبدالرحمن الهندي الدندي، ترك اثرا ادبيا بعنوان (الهدية المصرية للخطة العراقية) وتوهم ماسينيون عندما اعتبره من كتب اللهجة البغدادية، بينما هو مجموعة من كتاب ادبي صغير، طبع ببغداد عام ١٩٠٩ وليست له علاقة بلهجة بغداد..

ومؤلف هذه الهدية الطريفة هو (عبدالرحمن ابراهيم المصري الشهير بالهندي الدندي صاحب جريدة عفريت الحمارة بمصر)، هكذا ورد على الغلاف مع بيتين من الشعر:

حقوق الطبع للمصري
بعين العدل ملحوظة
لصاحبها مدى الدهر
حقوق الطبع محفوظة

كان والد هذا الرجل الظريف هنديا سكن بلدة (دمياط) المصرية وتزوج احدى بناتها وتوفي عن ابناء قيدت اسماؤهم تبعة لدولة بريطانيا، وبعد ان توفيت والدته تفرق الجميع واتخذ عبدالرحمن مدينة القاهرة موطنا من سنة ١٨٩٩، ولهذا يقول عن نفسه انه (مصري الوطن دمياطي الاصل هندي الجنس) وعمل في القاهرة في تحرير مجلات هزلية اولها (باش مهلس) وجريدة (حمار منيتي)، ثم انفرد باصدار جريدته الهزلية (عفريت الحمارة) في ٣١ تشرين الاول ١٩٠٥ كما يذكر فيليب طرازي في تاريخ الصحافة العربية، واستمر صدورها خمس سنوات لغاية اواخر عام ١٩٠٨ وسبب اغلاقها هو ابعاده من مصر الى (بومبي) لنشره قصيدة هزلية في نقد الحكومة المصرية يومذاك جاء فيها:

حكومة اليوم في شيء من العطل
وحالة القوم لاتخلو من العلل
ومصر في شبط والعصر في لبط
والدهر في عبط والناس في شكل

خيري الهنداوي

وكان سلاح (النفي) يطارد اصرار مصر في تلك السنين، فمن الذين نفوا للسبب نفسه يعقوب صنوع صاحب جريدة (ابو نظارة زرقا) الهزلية، ومراد ببنتوا صاحب جريدة (النسناس) الهزلية وحسن الروسي صاحب جريدة (الخلاعة). ونفي صاحبنا الى بومبي، الاّ انه تركها وسافر الى البصرة ثم الى بغداد..

وما ان استقر في بغداد حتى عقد علاقات مع مثقفيها من الادباء والصحفيين في مقدمتهم مراد سليمان صاحب جريدة (بغداد) والشاعر عبدالرحمن البناء وعبداللطيف ثنيان صاحب جريدة (الرقيب) وغيرهم..

وقد نشرت جريدة (بغداد) الكثير من الذكريات الادبية التي تركها عبدالرحمن الهندي في بغداد، فعندما نشر صاحب جريدة (جراب الكردي) الهزلية قصيدته بمناسبة خلع السلطان عبدالحميد الثاني، خمس الهندي القصيدة وانهى التخميس بقوله:

كل عدل جاء يسمى بعدكم
قائلا في الحشر تلقوا وعدكم
(وجراب الكردي) نادى باسمكم
ياحميد الخلع ارخنا (لكم)
(وقد خلعتم واتى يوم الحساب) ١٩٠٩

وفي عام ١٩٠٩ فتح النادي العسكري ببغداد وكان من المدعويين عبدالرحمن الهندي فالقى كلمة وقصيدة وقد ذكر في الكلمة ما تحتاجه بغداد في العهد (الدستوري) الجديد من زيادة للامن وتكثير (المكاتب) الابتدائية خصوصا في جانب الكرخ واصلاح المدارس الدينية وتعليم المرأة وتأسيس مكتب طبي على نمط مكاتب اوربا، توسيع التجارة بتعاون التجار على عقد شركة برأس مال كبير وجلب انواع (الفابريكات) للغزل والنسيج وانشاء طرق الحديد (شمندفير)... الخ اما قصيدته فقد تناول فيها اقامته في بغداد وفضل اهلها ومثلها:

مهما اقول فما في القول اغراء
الاب آدم اما الام حواء
من مصر جئت وقد لاقيت في سفري
ماقد يقل في الوصف احصاء
وقد اتيت الى بغداد اعجبني
فيها الهواء صفي الزاد والماء
دار السلام لها في الكون منزلة
نعم المقام لنا والوصف اطراء
الفضل حائدها والعدل سادبها
واليمن رائدها والباء والراء

اما ذكره صاحب (العقد اللامع) فقد ذكرناه سابقا وفحواه انه في عام ١٩١٣= ١٣٣٢ هبت ريح شديدة على بغداد فاطارت القسم الاعلى من منارتي جامع الاصفية الى حد الحوض ورمت بهما الى الارض ولما شاهد الشاعر السيد خيري الهنداوي ذلك قال:

ومن العجائب والعجائب جمة
امر عرا ومن الامور النادر

ذكريات إذاعية | اذاعة قصر الزهور

محمد علي كريم

×عندما تقرر اذاعة الحفلات الغنائية من اذاعة قصر الزهور اقتصرت تلك الحفلات على المغنين الرجال دون النساء اما الفرقة الموسيقية التي كانت تصاحبهم في الغناء فكانت هي نفسها فرقة اذاعة بغداد الموسيقية الخاصة لندرة الموسيقيين الجيدين في ذلك الوقت وكانت سيارة خاصة تابعة لقصر الزهور تأخذهم من بغداد وتعود بهم اليهما بعد انتهاء عملهم وقد قدم حسين علي وعلي الدبو منولوجاتهما من تلك الاذاعة.

×اما التمثيليات فقد اضطلعت بها فرقة المرحوم عبدالله العزاوي فكانت تقدم مساء الثلاثاء والثانية صباح يوم الجمعة ومعظمها من التمثيليات المحلية كما قدمت الاذاعة بعض احاديث الاطفال من قبل بعض محدثي الاطفال كعمو كريم وعمو زكي وكان المرحوم اسماعيل حسين إضافة الى عمله كمهندس للاذاعة يتولى تقديم مواد المنهاج اليومي وفي اول ايام عمل الاذاعة كان الملك غازي لايرى خيرا في الاشتراك في تقديم بعض تلك المواد.

×وفي عام ١٩٣٩ اذاع الملك غازي في ٢١ آذار منه خطابا بمناسبة عيد ميلاده فكان بذلك اول خطاب يذيعه ملك في العراق من الاذاعة وقد تعرض هذا الخطاب لقطع بعض العبارات لاحتوائه على عبارات تندد بالسياسة الانكليزية وعندما علم الملك بذلك ارسل اسماعيل حسن ومعه الخطاب لاعادة اذاعته من اذاعة بغداد فاستمع اليه المواطنون كاملا..!

×وقد خصصت اذاعة قصر الزهور احدى موجاتها العاملة لاعادة اذاعة منهاج اذاعة بغداد في فترة السهرة لايصال صوتها الى العالم الخارجي اذ كانت قوة موجة اذاعة بغداد المتوسطة تعادل نصف كيلووات وهي ضعيفة جدا وكانت اذاعة بغداد تذيع من بين ما تذيعه من برامج السهرة موسيقى غربية لنصف ساعة فكان الملك غازي يرفض اذاعة هذه الموسيقى وتذيع اذاعة قصر الزهور عوضا عنها اغاني عربية وبعد انتهاء الموسيقى الغربية في اذاعة بغداد تعود موجة اذاعة قصر الزهور الى نقل ما تبقى من برامج اذاعة بغداد.

×وفي شهورها الاخيرة اصدرت اذاعة قصر الزهور مجلة اذاعية اسمها راديو قصر الزهور تحتوي على معلومات الاذاعة نفسها وبعض الاحاديث ومعلومات عن اذاعة بغداد وفقرات علمية وادبية منوعة.. ولم يكتب لهذه المجلة الدوام فقد توقفت عن الصدور بعد غلق اذاعة قصر الزهور.. ففي مساء ٣/ ٤ نيسان توفي الملك غازي اثر اصطدام سيارته بعمود كهربائي فطلبت الملكة عالية ايقاف الاذاعة عن العمل ووزعت مرسلاتها القصيرة على اذاعة بغداد ووزارة الدفاع ومديرية الشرطة العامة، فكان نصيب اذاعة بغداد مرسلتين وكذا وزارة الدفاع واخذت مديرية الشرطة العامة المرسلة الخامسة.. اما الاسطوانات العربية والغربية التي كانت تمتلكها اذاعة قصر الزهور فكانت من نصيب اذاعة بغداد وكانت لاتقل عن ٣٠٠ اسطوانة إضافة الى جهاز الراديو الضخم غير العادي حيث اخذت اذاعة بغداد تستعمله في نقل حفلات ام كلثوم الغنائية في القاهرة مباشرة.. وهكذا لم يتجاوز العمل في اذاعة قصر الزهور السنتين تقريبا هذه بعض المعلومات عن اذاعة قصر الزهور احببت ان ادونها لعل فيها بعض الفائدة لمن يسأل عن هذه الاذاعة..

مجلة فنون 1981

يونس بحري: هاي هتلر

من قتل الملك غازي؟

سر وصول المذيع العراقي الى برلين قبل ساعات من مقتل الملك!

وحيد الشاهدي

صورة نادرة ليونس بحري في المعتقل

عبود الكرخي

غروبا

الملك غازي

من قتل الملك غازي؟!.

سؤال طالما طرح مرات عديدة وكانت الاجابات عنه غامضة مبهمة تثير الشكوك.. دون ورود جواب واحد يضع النقاط على الحروف بشكل صريح وواضح.. وبقي السرد فنيا!! وبقي مقتل الملك غازي مادة غنية بالتأويلات.

ولعل ما سأذكره هنا هو من باب الحقائق التي ذهبت تفاصيلها مع حاملها المرحوم (يونس بحري) المذيع العراقي الذي كنا نسمعه إبان الحرب العالمية الثانية من الاذاعة العربية في برلين وهو يردد هذه العبارة (هنا برلين.. حي العرب)!.

ولكن نتساءل: كيف حدث هذا؟!.. وكيف امسى (يونس بحري) مذيعا في اذاعة قصر الزهور.. ثم في اذاعة الحكومة العراقية في بغداد.. يوم (٤/نيسان/١٩٣٩) ثم اصبح مذيعا في الاذاعة العربية في برلين يوم (٧/ نيسان/١٩٣٩) اي بفارق ثلاثة ايام فقط؟!

لندع (يونس بحري) يحدثنا عن ذلك من بيروت يوم مر بها، في اواسط شهر آب من عام ١٩٥٤ وهو في طريقه الى مكة المكرمة لاداء فريضة الحج قادما من باريس حيث كان يصدر فيها جريدة (العرب) باللغتين العربية والفرنسية.

يقول (يونس بحري) للصحفي اللبناني حسن خليفة مراسل مجلة (الفن) المصرية في لبنان ونشر نص الحديث في العدد (٢٠٩) من المجلة الصادر في (٦/ايلول/١٩٥٤) جوابا على سؤال عن كيفية تأسيس الاذاعة العربية في برلين: (لقد بلغت حرب الاثير اشدها بين المحور والحلفاء في سنة ١٩٣٨.. وركزت بريطانيا دعايتها على القطاع العربي من الشرق الاوسط في وقت كانت الدعاية الالمانية فيه لم تصل درجة الشمول على هذا القطاع العربي.. فقال (غوبلز) موجه الدعاية الالمانية، بأن مواقع العرب الاستراتيجية ستلعب الدور الحاكم في حالة وقوع حرب، ومن اجل ذلك راح –غوبلز– يدرس مشروع ايجاد صلة تقوي العلاقات بين المانيا والعرب، وكان بديهيا ان يفكر –غوبلز– في انشاء اذاعة عربية خاصة وان اذاعات لندن وباريس باللغة العربية وجدت اقبالا لابأس به لدى السامع العربي..

ويضيف (يونس بحري) (..وكنت في هاتيك الايام اذيع في محطة الاذاعة للحكومة العراقية واذيع من محطة اذاعة قصر الزهور الملكية التي اسسها المغفور له الملك غازي.. ولم يكن يخالف على الانكليز والفرنسيين شدة هجمات الملك العربي عليهم في اذاعته الخاصة وميله الشديد لالمانيا!.

ياترى.. ما السر الذي جعل الملك غازي يأخذ هذا المنحى ليؤلب عليه الانكليز واذنا بهم وهو في قمة السلطة العراقية آنذاك؟!. وما اسباب ذلك؟!.

يقول (يونس بحري) (ان المانيا تظاهرات مرارا عديدة بمناصرتها لقضايا العرب وعلى رأسها قضية فلسطين العربية).

اذن هذا هو السر الذي جعل من غازي شخصية وطنية في نظر معظم المؤرخين الذين كتبوا عن الفترة التي كان فيها هذا الشاب الطموح ملكا على العراق..

وعن كيفية اختيار الالمان ليونس بحري بالذات لتأسيس الاذاعة العربية في برلين يقول (كان، الدكتور غوريا، وزير المانيا المفوض لدى بلاط العراق وبلاط آل سعود، من اكثر الدبلوماسيين الغربيين اختلاطا بالمحافل العربية ومعرفة لخفايا السياسة العربية وصلته بي ترجع الى عام ١٩٣٠ وقد زارني الدكتور غروبا في محطة الاذاعة العراقية وقال لي: ان الاتفاق بين (سيدنا) ويعني الملك غازي– وبينه – اي غروبا – قد تم على ايفادي اي ايفاد يونس بحري الى برلين لتأسيس اذاعة عربية، وكان ذلك في اليوم العاشر من شهر مارس سنة ١٩٣٩، ولكني طلبت – من غروبا– مهلة لانهاء اعمالي ببغداد..

ويقول (يونس بحري): (وفي ليلة الرابع من شهر نيسان ١٩٣٩، خاطبت الدكتور غروبا تلفونيا وطلبت منه طائرة (في الحال) لنقلي بدون امهال الى برلين..

ومن المعروف ان هذه الليلة.. (ليلة الرابع من نيسان / ١٩٣٩) كانت فجيعة الشعب العراقي بمصرع ملكهم الشاب غازي الاول..

الا ان (يونس بحري) لم يتطرق الى ذلك ولم يذكر اي شيء عن الحادث المفجع الذي قالت عنه (اللطمية) الشعبية العراقية (الله واكبر ياعرب غازي انفكد من داره، وارتجت اركان السما من صدمته السيارة)..

وقيل في حينها ان الشاعر (ملا عبود الكرخي) كان وراء هذه (اللطمية)..

ونعود الى (يونس بحري) ونتساءل فقط: هل كان في طلبه الملّح للطائرة لنقله حالا الى برلين قبل لحظات من مقتل الملك غازي ام بعده؟! اذ يبدو ان خطرا ما كان يهدد (يونس بحري) فاراد ان ينجو بنفسه!!.

ان (يونس بحري)، بدلا من ان يذكر ذلك يقول: (وفي السابع من نيسان / ١٩٣٩، اي بعد ثلاثة ايام من مغادرتي العراق سمع العرب في مختلف اقطارهم: هنا برلين.. حي العرب..

ونعود مرة اخرى ونتساءل: هل كان يونس بحري يعرف من قتل الملك غازي أو لايعرف؟! وهل الحقيقة ذهبت الى القبر معه أو ان هناك من افصح له بشيء عما سيحدث للملك الشاب ففر بجلده؟!.

فصل من مذكرات طيار الملك غازي

انقلاب بكر صدقي في وثائق مرافقه الخاص!

عدنان الامين

ان امانة التاريخ تقتضي تحري الحقيقة ولقد وجدت نفسي الملم صفحات مطوية، لم يتطرق اليها المؤرخون عن الحركة الانقلابية التي قام بها الفريق بكر صدقي صباح يوم الخميس المصادف 29 تشرين الاول سنة 1936 بالتعاون سرا مع الملك غازي وحكمت سليمان وجماعة الاهالي (الحاج جعفر ابو التمن وكامل الجادرجي وغيرهما) وكان المرحوم جوتاد حسين مرافق الملك غازي من تنظيم الضباط المؤازرين للانقلاب

ومن الاقطاب المتحمسين لاهداف الانقلاب باعتباره من الاصدقاء المقربين للملك غازي ومن المتصلين صلة وثيقة بحكمة سليمان وكان لولب الحركة بين العسكريين والمدنيين حسبما يظهر من المذكرات التي كتبها بخط يديه اخوه المرحوم ناصر حسين التي قدمتها مخطوطة الى الامانة العامة للوثائق مع رسالة الملك غازي – الاصلية بخط يده والاخرى بخط يد المرحوم جعفر العسكري وزير الدفاع انذاك مع صور ووثائق اخرى لتكون مرجعا للمؤرخين والمؤلفين وفعلا اشير اليها في المؤلفات التي الفت مؤخرا حول شخصيات العهد الملكي والملك غازي.

الانقلاب

نام الناس مساء يوم ٢٨ تشرين الاول/ ١٩٣٦ بكل طمأنينة، واستيقظوا صباح يوم الخميس الموافق ٢٩ تشرين الاول / ١٩٣٦ مودعين قيض الصيف ومستقبلين اعتدال الخريف وفي حوالي الساعة الثامنة والنصف من صباح ذلك اليوم شاهد الناس ضابطين على دراجتين بخاريتين يوزعان المناشير على المارة في الشوارع، وعلى الاخص شارع المتنبي المؤدي الى الدوائر الحكومية، كان الضابطان هما الرئيس (علي غالب الحاج عريان) والرئيس (سعدي مصطفى) وعلى الاثر كانت الطائرات تنثر المنشورات في سماء العاصمة وقد اطلع الشعب على المنشور الاول وكان (نداء من الفريق بكر صدقي قائد القوة الوطنية الاصلاحية الى الشعب العراقي الكريم)، والمنشور الثاني الذي القي من الطائرات يوم الانقلاب هو كتاب موجه الى الملك غازي الاول من قبل الفريقين بكر صدقي وعبداللطيف نوري، وما ان حانت الساعة الحادية عشرة والنصف واذا بانفجار شديد هز مباني الحكومة في سراي بغداد، وامتلأت الغرف بدخان كثيف في بناية وزارة الداخلية حيث حجب الانظار عن الجالسين في مكاتبهم فلم يعد يرى احد الاخر وخرج الموظفون من دوائرهم وشاهدوا ابناء العب رافعين رؤوسهم الى السماء لينظروا الى طائرات الجيش العراقي وهي تحلق فوق دواوين الحكومة وترمي بقنابلها على بناية مجلس الوزراء فأصابت بناية وزارة الداخلية المجاورة لها بواحدة منها، كما اصابت احدى الشظايا ساق احد المارة وقد ضمد من قبل مدير الداخلية العام آنذاك السيد عبدالحميد رفعت بمنديله وارسل الى المستشفى، وظل الموظفون في حيرة من امرهم هل يتركون الدوائر ويخالفون رؤساءهم ام يظلون قابعين في دوائرهم والشظايا تتطاير امامهم، وقد امر بعض رؤساء الدوائر الموظفين بترك الدوائر والسماح للموظفين بالذهاب الى منازلهم وفي عصر ذلك اليوم احتل الجيش بغداد بقيادة الفريق بكر صدقي الذي توجه بصحبة مرافقه جواد حسين الى ديوان وزارة الداخلية لمواجهة السيد حكمة سليمان الذي كان موجودا فيها لغرض تأليف وزارة جديدة عصر ذلك اليوم.

بكر صدقي مقتل جعفر العسكري:

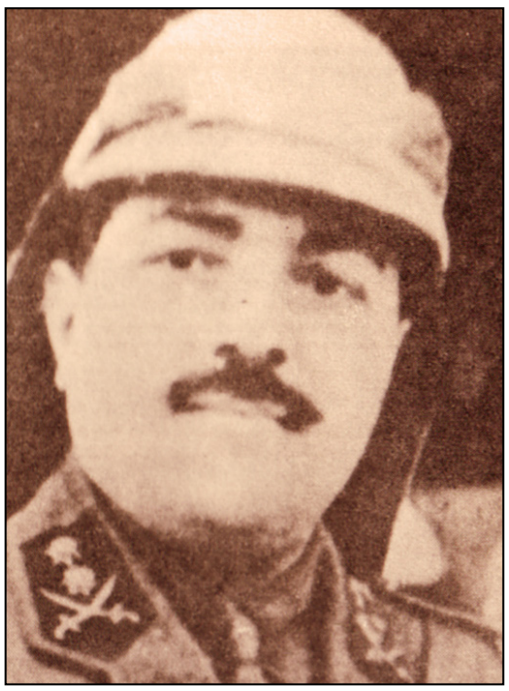

جعفر العسكري مضرجا بدمائه، وقد خشي بقية الضباط

وثيقتان تكشفان اسرار مصرع جعفر العسكري!

كان حوالي ثلاثين ضابطا مجتمعين في مقر بكر صدقي في ضاحية من ضواحي بغداد واذا بجندي من المقربين له يهمس في اذنه فظهرت على وجهه علامات التأثر والانفعال الشديد ولم يتمالك شعوره وبين للحاضرين من الضباط ان جعفر قادم اليهم وسألهم عن من يتقدم لقتله فلم يجب احد ثم كرر القول فلم يجبه احدا ايضا وكان المرحوم الرئيس جواد حسين حسن واقفا بجانب المقدم جميل فتاح فهمس في اذنه الم يكن هناك اجراء غير القتل كالنفي؟ فرد عليه بكر صدقي غاضبا (وماذا نعمل به)؟ واومأ بكر صدقي الى كل من الملازم جمال جميل والرئيس لازار والمقدم جميل فتاح والرئيس جواد حسين وطلب منهم الذهاب فورا لقتل جعفر باشا العسكري وبناء على صدور هذا الامر العسكري من قائد الانقلاب ركب جواد حسين وجميل فتاح في سيارة متتبعين السيارة الاولى التي تنقل الملازم جمال جميل والرئيس لازار وبعد مسيرة رأوا عن كثب الملازم اسماعيل توحله متأبطا جعفر العسكري ويتمشيان فنزل الملازم جمال جميل وتبعه الرئيس لازار اما السيارة الثانية التي تنقل المقدم جميل فتاح والرئيس جواد حسين فقد وقفت واستدار حولها الرئيس جواد حسين لكي لايشاهد عملية الاغتيال واذا بجمال جميل قد صوب فوهة مسدسه نحو جعفر العسكري واطلق عيارا ناريا عليه التفت جعفلا حالا مرددا كلمة (لا) وهو يستغيث ثم خر صريعا من مخالفة اوامر قائد الانقلاب فاطلق كل ضابط من الحاضرين طلقة بجانب القتيل وبعد غروب الشمس وحلول الظلام دفنت الجثة بصورة سطحية ومستعجلة في بقعة ارض قريبة من نهر الوزيرة المندرس التي لاتبعد عن مخفر الشرطة في خان البير الا بمسافة قليلة، وكان السيد شاكر الوادي الذي اشترك في حركة الانقلاب قد اقترح حرق الجثة لاخفاء معالم القتيل.

ان الحديث عن الانقلاب ومقتل جعفر العسكري ودونه بين المرحوم جواد حسين واخيه ناصر حسين ودونه الاخير في مذكراته الخطية التي سلمها لي في حياته بطبعها ونشرها بعد وفاته وخولني حق التصرف بها وعرضها بالاسلوب المناسب وقد قدم الرئيس جواد حسين الى اخيه بعد شرح الحوادث، رسالة الملك غازي ورسالة المرحوم جعفر العسكري بخطهما بعد ان قرأهما بكر صدقي وضغطهما بيده ورماهما ارضا فالتقطهما مرافقه جواد حسين لانه شاهد عصبية قائد الانقلاب وقد تكون وثيقتين مهمتين وفعلا ظهرتا كذلك، ونتيجة ضغط يده على رسالة الملك غازي فقد تمزق قسم منها واصلح بعدئذ بالشريط اللاصق وقد ارسلت الى الامانة العامة للوثائق كما اسلفت وفي الحلقة الثانية سوف اتابع نشر المذكرات مع التعليق عليها على ضوء المصادر التاريخية الاخرى مع الاشارة اليها امانة في النقل والتأليف والله من وراء القصد.

ضابطان يوزعان المناشير على المواطنين قرب شارع المتنبي

عبد الرحمن النقيب واللقاء الأول بـ (المس بيل)

د. عبد الله حميد العتابي

ولدت غير ترود مرغريت لوثيان بيل المعروفة باسم (المس بيل) سنة ١٨٦٨ في مقاطعة يوركشاير ببريطانيا وهي ابنة احد رجال الصناعة المعروفين في بريطانيا تلقت ثقافتها في جامعة اكسفورد وبعد ان نالت شهادة التفوق في التاريخ سنة ١٨٨٧ استهوتها اللغة العربية فتعلمت شيئا من قواعدها فضلا عن مهارتها في اللغتين الفرنسية والالمانية بدات بيل نشاطها في عام ١٨٩٢ حينما رحلت الى طهران ومكثت فيها عدة سنوات وفي سنة ١٨٩٩ تجولت على صهوة جوادها او على ظهور الابل في حواضر الاقاليم العربية وبواديها وقد شوهدت في حيفا بفلسطين عام ١٩٠٠ وهي تتلقى دروسها العربية عل يد شيخين من شيوخ تلك المدينة ثم تجولت بعد ذلك في انحاء سوريا وفي سنة ١٩٠٧ اصدرت كتابها"سوريا:البادية والمعمورة" تجولت في المدة ١٩٠٩-١٩١٤ بين العراق وسوريا وتركيا وزارت المناطق الاثرية وقامت بجمع المعلومات عن العشائر العراقية وحامت حولها الشبهات فوضعتها السلطات العثمانية تحت الرقابة واصدرت امرا بالقبض عليها لكنها افلحت في الرحيل الى حائل في شمال نجد ومنه عادت الى العراق.اصبحت المس بيل في خريف ١٩١٥ موظفة في ادارة المخابرات البريطانية في مصرالمكتب العربي" بصفة مترجمة خبيرة وتوثقت علاقتها برجال المخابرات البريطانية ومنهم لورنس والدكتور ديفيد هوكارت وفي سنة ١٩١٦ جاءت الى العراق والتحقت بقوات الاحتلال البريطاني وعينت في المكتب العربي فرع البصرة في حزيران ومن تلك السنة توثقت علاقتها بالمقدم برسي كوكس رئيس الحكام السياسيين كما تعرفت على جون فيلبي وحينما احتل البريطانيون بغداد في ١١ اذار ١٩١٧ انتقلت بيل اليها وسكنت بيتا في محلة السنك وسرعان ما اشتهرت في بغداد بلقب "الخاتون" وللمس بيل في بغداد حياة عريضة على الصعيدين السياسي والاجتماعي شاءت ان تسجلها بنزاهة احيانا وبلا نزاهة في اغلب الاحيان في الرسائل التي كانت تبعث لابيها السير هيو بيل وزوجة ابيها فلورنس بيل وقد توفيت الخاتون صباح يوم الأحد ١٢ تموز سنة ١٩٢٦ في بغداد عن ثمان وخمسين سنة وشيعت الى المقبرة المعروفة في ساحة الطيران في الباب الشرقي حيث دفنت هناك. نشرت المس بيل التي سجلت شؤونها الخاصة وعلاقاتها الاجتماعية ونشاطها السياسي ودورها في خدمة بلدها بريطانيا من جانب زوجة ابيها عام ١٩٢٧ في مجلدين بعنوان رسائل المس بيل سنة ١٩١٤-١٩٢٦ ثم نشرت ايضا مختارات من هذه الرسائل سنة ١٩٥٢ بعنوان رسائل مختارة للمس بيل وقامت بعدئذ اليزابيث بوركوين بطبع رسائل بيل الشخصية فظهرت في لندن عام ١٩٦١ في مجلدين بعنوان غيروترود بيل:من رسائلها الشخصية ومنها استمد المرحوم جعفر الخياط الترجمة العربية لكتاب المس غير ترود بيل:فصول من كتاب تاريخ العراق القريب" والذي اعتمدنا عليه.

مس بيل

كان النقيب معجبا بالانكليز لانه يعتقد انهم معروفون في العالم اجمع بالعدل والانصاف ويبدو انه كان يكن بغضا شديدا للفرنسيين لان المسلمين في الجزائر قد كابدوا الارهاق تحت حكمهم فيها وكان يؤمن "بان البريطانيين اذا وضعوا قدمهم في مكان لايرفعونه عنه وهم اذا تمسكوا بشيء احتفظوا به الى الابد.

المس بيل واللقاء الاول بـ (عبد الرحمن النقيب)

جاءت المس بيل للعراق في عام ١٩٠٩ للمرة الاولى كسائحة والتقت وقتذاك بعبد الرحمن النقيب نقيب اشراف بغداد اول مرة وفي ٦ شباط ١٩١٩ زارت الخاتون النقيب لوداعه بمناسبة سفرها الى انكلترا وفي هذه الزيارة تصف المس بيل النقيب بالقول:النقيب رجل متقدم في السن احنت ظهره السنون وقد اقعده مرض الروماتيزم بعض الشيء ويتالف لباسه من جبة طويلة تصل بطولها الى قدميه ذات ردنين طويلتين تصنع من الكتاب الابيض محزومة في الوسط بطيات نطاق ابيض عريض وهو يعتم بعمامة بيضاء ملفوفة حول طربوش احمر"اما وصفها لبيته:"كان النقيب منذ وقت الاحتلال يسكن في داره المقابلة لتكية عبد القادر التي يرأسها هو حيث ان الدار التي كان يشغلها في العادة على النهر بالقرب من"المقيمية" كانت قد اخذت منه لسكن الضباط بموافقته. وبيته مرتب ترتيبا بسيطا باعتناء وتقع الغرفة التي يستقبل فيها زواره في الطابق الاول ولها شبابيك تطل عل حديقة صغيرة زرعت فيها اشجار البرتقال وقد صفت حول جدران الغرفة ارائك صلبة مستقيمة مغطاة بالخام الابيض.

كيف كان النقيب ينظر الى الانكليز؟

كان النقيب معجبا بالانكليز لانه يعتقد انهم معروفون في العالم اجمع بالعدل والانصاف ويبدو انه كان يكن بغضا شديدا للفرنسيين لان المسلمين في الجزائر قد كابدوا الارهاق تحت حكمهم فيها وكان يؤمن "بان البريطانيين اذا وضعوا قدمهم في مكان لا يرفعونهاعنه وهم اذا تمسكوا بشيء احتفظوا به الى الابد.ويبرر النقيب احتلال بريطانيا للعراق بالقول"ان الانكليز فتحوا هذه البلاد وبذلوا ثروتهم من اجلها كما اراقوا دماءهم في تربتها حيث ان دماء الانكليز والاستراليين والكنديين ومسلمي الهند وعبدة الاصنام قد خضبت تراب العراق ولذلك فلا بد لهم من التمتع بما فازوا به ويضيف قائلا:انني اعترف بانتصاركم وانتم الحكام وانا المحكوم وحينما اسأل عن رايي في استمرار الحكم البريطاني اجيب بانني من رعايا المنتصر"ثم يسوغ النقيب تبدل ولائه من الاتراك الى الانكليز بالقول:انني لا اتردد في القول انني كنت احب الحكومة التركية عندما كانت بالوضع الذي عرفتها فيه واذا كان بوسعي ان اعود للخضوع الى حكم سلاطين الاتراك كما كانوا في الزمان الغابر فانني لا اختار غيرهم لكنني اعاف واكره الحكومة التركية الحالية والعنها"كان النقيب يشير الى الاتحاديين" وقد مات الاتراك وتلاشوا وانا راض بان اكون من رعاياكم. ولايخفي النقيب انبهاره ببرسي كوكس اذ يقول للمس بيل:"خاتون هناك الف ومائة رجل بوسعهم ان يشغلوا منصب السفارة في ايران"كان كوكس سفيرا لبريطانيا في طهران"لكنه ليس هناك من يليق للعراق سوى السير بيرسي كوكس فهو معروف ومحبوب وموضع ثقة اهالي العراق كما انه رجل حنكته السنون" واضاف قائلا:"انه رجل ذو اعتبار كبير في لندن وسيكون محامينا المتكلم باسمنا فاذا ارادت الحكومة هناك"الحكومة البريطانية"ان تعرف افكارنا سيكون بوسعه تزويدنا بالمعلومات الضرورية وستكون كلمته مقبولة واني اشهد الله ان السير برسي كوكس لو كان موجودا في بغداد لكنا في غنى عن حماقة استفتاء الناس عن رأيهم في مستقبل البلاد حيث ان ذلك كان سببا للاضطراب والقلاقل واردف قائلا "انت ذاهبة الى لندن وسوف تواجهين العظماء وتتحدثين اليهم فقولي لهم هذا:ليعد السر بيرسي كوكس الى العراق وتوليته الحكم العسكري حيث ان دوامه غلط فاحش.اما عن رأيه بالجنرال مود فيقول النقيب:"اننا مدينون له بعرفان الجميل وقد كان محبوبا في بغداد" وعبر عن انطباعه عن السر ويليام مارشال"ان نبله ظاهر على وجهه.وبرر النقيب اهتمامه بعودة كوكس بالقول:"القوة يجب ان تكون في ايام السلم في ايدي رجال الدولة وليس في ايدي العسكريين وعليكم ان تحتفظوا بجيش في هذه البلاد للمحافظة على الامن لكن الجيش يجب ان يبتعد عن الحكم.اما عن رأيه ببنود الرئيس ودور ويلسن رئيس الولايات المتحدة الامريكية الرابع عشر والتي اعلنها في مؤتمر الصلح في باريس عام ١٩١٩ فقد علق النقيب عن ذلك بالقول:ما معنى كل هذا وما قيمته؟انني اعزو ذلك الى امريكا وكأني اسمع صوت"الرئيس"ويلسن منه هل يعرف ويلسن الشرق وشعوبه؟وهل يعرف هو طرق حياتنا واصول تفكيرنا؟انتم الانكليز حكمتم في اسيا ثلاثمائة سنة وحكمكم هو مثال تقتدي به جميع الشعوب فسيروا في طريقكم ولاتخضعوا لارشاد ويلسن فالمعرفة والخبرة هما دليلكم.وحين استطلعت المس بيل رأي النقيب بترشيح الشريف حسين او احد انجاله لمنصب الامارة في العراق اجابها عبد الرحمن النقيب بالقول:"انني من اقارب الشريف وانحدر من السلالة نفسها واشاركه في مذهبه الديني ولذلك فانني ارجو ان تفهموا اني لست مدفوعا بدافع الاختلاف في الدم والعقيدة عندما اقول لكم اني سوف لا اوافق ولن اوافق على تعيين الشريف او احد انجاله اميرا في العراق فان الحجاز غير العراق وليس هناك علاقة بينهما غير علاقة العقيدة فسياستنا وتجارتنا وزراعتنا كلها تختلف عن سياسة وتجارة وزراعة الحجاز ان الحجاز هي بلاد الاسلام المقدسة ويجب ان تبقى دولة مستقلة وحدها يستفيد منها المسلمون كلهم وهي اشبه بالقدس التي تعد بلدا في غاية القدسية بالنسبة للمسلمين والمسيحيين ايضا اما عن حكومة العراق فان كرهي للادارة التركية الحاضرة معروف لديك لكنني افضل الف مرة عودة الترك الى بغداد على ان ارى الشريف او ابناءه ينصب احدهم هنا.وعن امكانية ترشيحه على راس الدولة العراقية اجاب:"ان صيرورتي رئيسا سياسيا للدولة هي ضد اشد مبادئ عقيدتي تاصلا ففي ايام جدي عبد القادر اعتاد الخلفاء العباسيون استشارته كما تطلبين انت وزملاؤك مشورتي الان لكنه لم يكن يوافق على الاشتراك في الشؤون العامة ولا اوافق انا ولا اي احد من احفادي ان نفعل ذلك هذا جوابي من الوجهة الدينية لكنني ساعطيك جوابا يستند إلى اسباب شخصية فانني متقدم في السن وارغب ان اقضي الخمس او الست سنوات التي بقيت من حياتي في الدرس والتامل حيث انهما مشغوليتي المستديمة ولا اتراجع عما قلته الان حتى اذا كان في ذلك انقاذ العراق من الدمار التام.

عبد الرحمن النقيب

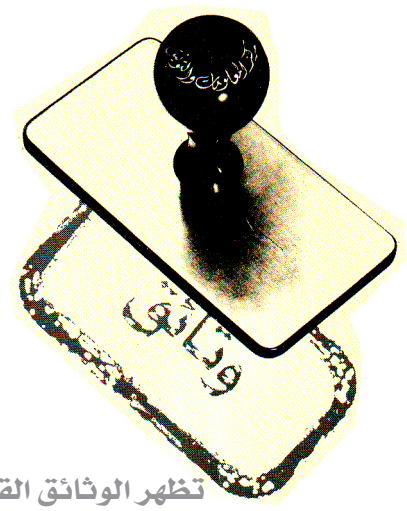

عراق القرن التاسع عشر في تقارير قناصل فرنسا

تظهر الوثائق القنصلية الفرنسية العائدة الى منتصف القرن التاسع عشر، مختلف الاوضاع الجغرافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والقنصلية التي عرفها العراق في اواخر الحكم العثماني للبلاد الذي كانت بموجبه البلاد مقسمة الى ثلاث ولايات هي: الموصل وبغداد والبصرة، وتصف هذه الوثائق عالما انتهى ليحل مكانه عالم آخر بعد اكتشاف النفط الذي ساهم مساهمة فعالة في مسح حالة الفقر السابقة وبعدما تهيأ للبلاد حكم عربي عرف بالتدريج كيف ينفض عن البلاد واقع التخلف الاداري السيئ الذي اضعف الموارد وفكك البلاد طوال الحكم العثماني، وهذه الوثائق العائدة الى سلسلة (المراسلات السياسية للقناصل في تركيا) الجزء ١-١٢ (١٨٣٠- ١٨٤٠) والى مراسلات قناصل بغداد والموصل جزء ١-٥ (١٨٤٠- ١٨٦٦) وبغداد ، جزء ٦-٧ (١٨٦٧- ١٨٩٥) والموصل ، جزء ٢-٤ (١٨٦٨- ١٨٩٥) تصور لنا المواصلات عبر الصحراء القاحلة وما يعترضها من اضطرابات امنية، وتصور القوافل البدوية والمدن ذات الشوارع الضيقة والموحلة والاسواق الصاخبة التي تفتك بها الاوبئة موسميا وتعصف الصراعات وتظهر العادات والتقاليد الموغلة في القدم والموظفين الفاسدين والطغاة ولئن صدقت مراسلات القناصل او لم تصدق او كثرت فيها المبالغات والافكار المسبقة، فهي تبقى شاهدا حيا على ماضٍ ذهب..

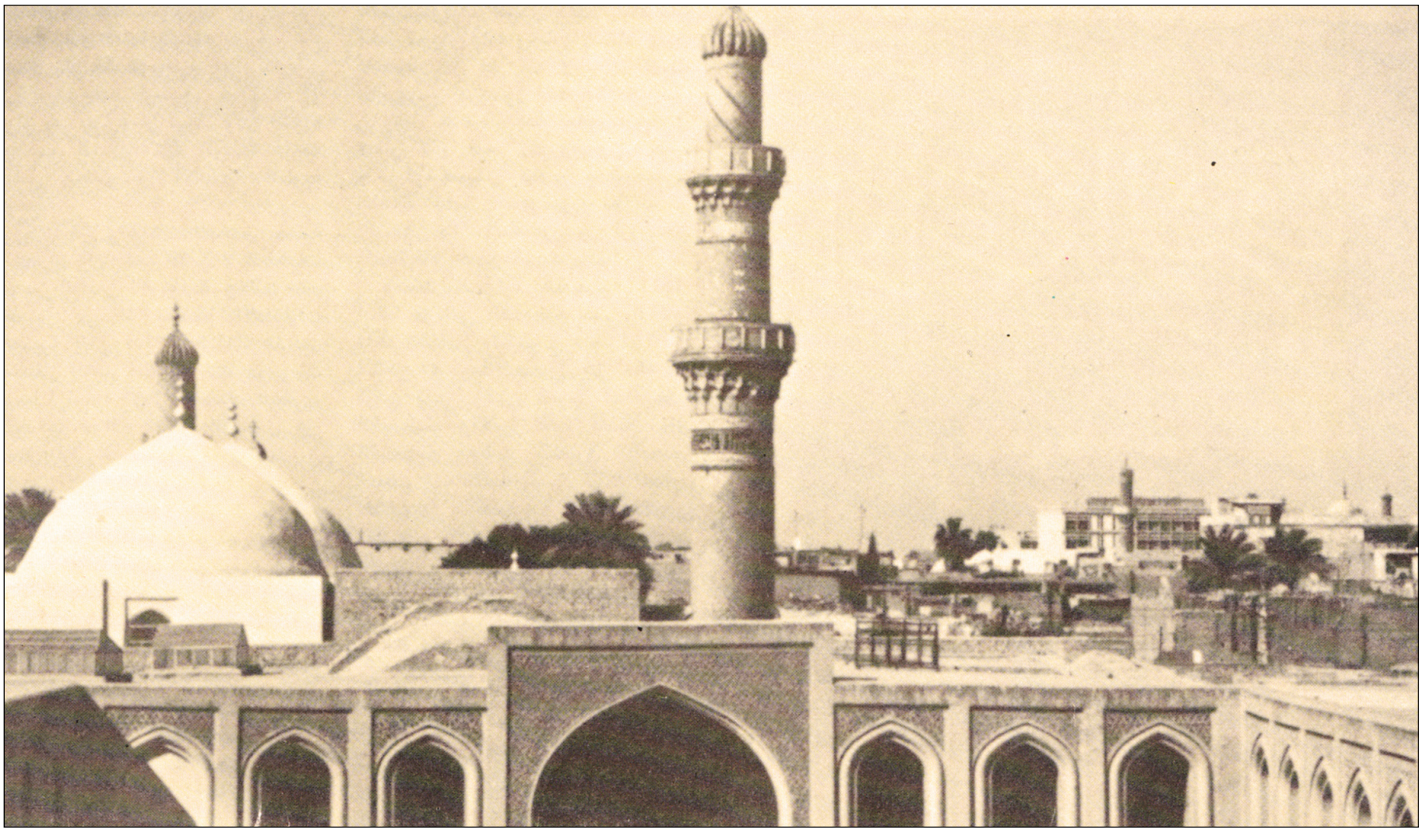

رفض قاضي بغداد الوقوف فداعبه القنصل قائلا: انا امثل الامبراطور نابليون

اساس خلافات القناصل مع الولاة نجد الصراعات على تطبيق البروتوكول، ففي عام 1840 امتنع السيد ويمار، القنصل الفرنسي العام في بغداد، عن اقامة علاقات رسمية مع الحاكم لان هذا عند مجيئه الى بغداد قام بأول زيارة له الى المسؤول البريطاني، الذي كان اقدم في مركزه من زميله الفرنسي، الذي كان يزعم بأن الامتيازات الاجنبية تعطيه حق الاسبقية، ولم تبادر السفارة الى تأييد القنصل في شكواه الاّ بطريقة مائعة، وكل ما صنعته، الحصول على رسالة تأنيب للحاكم الذي لم يأبه للامر، وعندما علمت وزارة الخارجية الفرنسية بالامر بدأت توصي القنصل بضرورة التسامح

كانت مهنة القنصلية امرا صعبا في العراق، والسبب في ذلك ان الموظفين في الادارات الرسمية كانوا متعصبين وضعافا امام التهديد والرشاوى وكان القناصل بسبب نظام الامتيازات الاجنبية مسؤولين ليس عن حماية رعايا السلطان من الكاثوليك فقط، بل كانت لهم مداخلات مع الادارة وقد اساءت هذه الوصاية الى علاقات القناصل بالمسلمين واثارت حفيظة بطانة السلطان بالذات الذي لم يتقبلها الاّ بشق الانفس، ولذلك كانت السفارات تشكو كثرة الشكاوى القنصلية على الوضع القائم، وكانت دائما تدعو الى الهدوء والى الصبر في معالجة المشاكل.

وفي اساس خلافات القناصل مع الولاة نجد الصراعات على تطبيق البروتوكول، ففي عام ١٨٤٠ امتنع السيد ويمار، القنصل الفرنسي العام في بغداد، عن اقامة علاقات رسمية مع الحاكم لان هذا عند مجيئه الى بغداد قام بأول زيارة له الى المسؤول البريطاني، الذي كان اقدم في مركزه من زميله الفرنسي، الذي كان يزعم بأن الامتيازات الاجنبية تعطيه حق الاسبقية، ولم تبادر السفارة الى تأييد القنصل في شكواه الاّ بطريقة مائعة، وكل ما صنعته، الحصول على رسالة تأنيب للحاكم الذي لم يأبه للامر، وعندما علمت وزارة الخارجية الفرنسية بالامر بدأت توصي القنصل بضرورة التسامح فأجاب القنصل عليها قائلا:

(واذا دخلتني اراء سيادتكم التي تشرفت بسماعها، لم اتوقف، من دون الابتعاد عن شرف الوظائف التي احمل، عن اقامة العلاقات مع الباشا، التي تحمل خطأ انتهاك حقوق التشريف، والرتبة العالية والاقدمية، التي قام بها هذا الموظف حين وصوله الى بغداد، ولي كل السرور بأن اعلن على سموكم بأنه بعد مفاوضات طويلة قبل الباشا ان اختار بين زيارة رسمية للقنصلية بشكل يمحو ما جرى او بين رسالة اعتذار، وقد قبلت الحل الاخير بعد استشارة سفارتنا)..

ولكن الاتفاق بين الاثنين لم يعمّر طويلا، فاشتكى الباشا للسلطان عن الوسائل السيئة التي يعتمدها القنصل الفرنسي العام تجاهه وعلمت السفارة والوزارة بما جرى فانبت القنصل لان الوقائع كانت صحيحة، وطلبت منه عدم تجاوز صلاحياته وبأن يعود الى تطبيقها وبأن يبتعد عن تعقيد العلاقات مع السلطة الاساسية في الولاية.

المصالحة لم تؤد الى نتيجة حاسمة، في اول ايام رمضان المبارك، استقبل الباشا قنصل انكلترا بصورة احتفالية كما تجري العادة عن افتتاح السراي، ورفض ان يمارس قنصل فرنسا هذا الحق كعميد للسلك القنصلي في بغداد فيأتي قبل قنصل الانكليز الذي ضرب عرض الحائط بحق الاقدمية الذي وضعه مؤتمر فيينا كما ان الباشا رفض تشريفات الامتيازات الاجنبية.

وغضب الباشا من ادعاء القنصل عليه الى سفارته في اسطنبول فبادر الى الادعاء على القنصل لدى رؤسائه، وقد ادت هذه الخلافات المتأتية من اشكالات حول الزيارات البروتوكولية والتشريفات ورفع الاعلام، الى غضب غيزو وزير خارجية فرنسا الذي رأى فيها حالة مسكينة خصوصا انه لم يكن راغبا في قيام مصاعب مع القسطنطينية، وان يكن ذلك على حساب معتمده في بغداد.

وازداد الامر سوءا بين الحاكم والقنصل حتى ان جيوش الاول في عام ١٨٤٦ دخلت بسلاحها الى حرم القنصلية ورفض الباشا معاقبتها، وامام ازدياد وقاحة الباشا تراجعت السفارة في اسطنبول عن تحفظها وتدخلت بحزم الى جانب قنصلها فاتصلت بالباب العالي الذي ارسل لوما قاسيا الى الباشا لان تصرفاته تغيرت كليا.

وانتهت المشاكل سلما بين الاثنين ولكن النهايات السعيدة لم تكن دائمة مع السلطات المحلية ففي عام ١٨٦٦ اختلف قنصل بغداد الفرنسي مع الباشا الذي رفض تقديم التشريفات العسكرية له في الوقت الذي كان يقدمها لزميله البريطاني، وعندما اشتكى على هذا الواقع طلبت منه سلطاته العليا اللجوء الى الهدوء فهدأ خلال سنتين ولكن في عام ١٨٦٨، اختلف مع قاض بشكل علني بحيث ان الحكومة العثمانية طلبت استدعاءه، فطلبت الوزارة الفرنسية منه تقديم ايضاحات، فأجاب بما يلي:

(في يوم عيد صاحب الجلالة السلطان ذهبت، حسب العادة، بزيارة رسمية باللباس الرسمي الى عند الحاكم.. وعند خروجي، ذهبت لزيارة قادة القوات العسكرية.. فاستقبلني الجنرال كالعادة بالترحاب على مدخل الصالون.. وعند دخولي الى القاعة لاحظت احدهم ظل جالسا القرفصاء دون ان يبادر الى الوقوف كالاخرين لدى دخولي، ولم يكن هذا الرجل الاّ القاضي فاقتربت منه بخطوات قليلة دون غضب وبهدوء كلي وبعد نظرتي اليه ببرودة للحظات اخذت لحيته بلطافة بيدي، وقلت له هذه الكلمات: الا ترى قنصل الامبراطور نابليون؟ وابدى الجنرال امتعاضه من سلوك القاضي، وترجّاني ان اجلس فقاومت توسلاته لان القاضي لم يكن يبدو عليه الوقوف لاجلي او الخروج من القاعة، ثم ركبت حصاني ودخلت الى منزلي ومعي ضباط القنصلية)..

ولكن الفضيحة كانت كبيرة لان بعض الشهود اكدوا بأن القنصل لم يأخذ لحية القاضي برفق بل بقوة لاجباره على الوقوف، فقطع الوالي كل علاقة معه واستدعته باريس اليها، ويبدو ان الدولة العثمانية كانت تقدر كثيرا الحكام الذين يتخاصمون مع القناصل الأجانب فيقول احد التقارير:

(كان هذا الوالي، من اهم الولاة في نظر الديوان في السلطنة لانه كان من بين الذين تكثر فيهم الشكايات من جهة القناصل الاجانب)..

ولكن هذا الواقع كان يختلف مع تغيير الباشوات.. ففي عام ١٨٥٠ استقبل السيد تافرنييه، ممثل الجمهورية الفرنسية الثانية، استقبالا جيدا بعد شغور المنصب طوال ثلاث سنوات فقد اعدت له السلطات التركية في المدينة استقبالا حماسيا وشعائر تعبر عن الود تجاه فرنسا من كل طبقات الشعب فالاتراك واليهود والفرس ارسلوا رؤساءهم لتهنئة القنصل برجوعه السعيد وعن الشعور بالرضى الذي تشعر به المدينة لمجيء ممثل فرنسا الى البلاد، ولازم القنصل المنزل قرابة ثلاثة ايام متتالية لاستقبال الزوار، وكان الناس قد بدأوا يفهمون ان لامطامع لفرنسا في بلاد العراق.

وكان لشخصية القناصل دور في نوعية العلاقة، فالبعض منهم كانوا يتخطون الضوابط البروتوكولية وينسجون علاقات خاصة، كما فعل السيد بوفيه نائب القنصل الفرنسي في الموصل.. ففي عام ١٨٥٤ قام هذا الشخص عند دخوله الى دوائر البلاد باعتماد الحيلة والمهارة، فبدأ يدعو الى ضرورة قيام تعاون بين القنصلية والسلطة الحاكمة وتمكن من تحقيق ذلك، فكان كل ما يطلبه يتحقق بسرعة، وفي مرة كان بحاجة لارسال مئة خيال الى طرف الولاية فتمكن من احضار ذلك في ساعة.. حتى عندما كان مريضا كان بامكانه طلب ما يشاء، كيف كان السبيل الى خلق هذه الصداقات الغالية؟

الجواب بسيط فالهدايا في الحكم التركي تفعل فعلها بشكل دائم، ففي عام ١٨٤١ طلب قنصل بغداد العام الفرنسي من حكومته ارسال هدية الى الوالي هي عبارة عن سيف وعن صورة لصاحب الجلالة ملك فرنسا مزينة بالماس وعلبة من الاسلحة النارية الجميلة.

وكان من واجبات القناصل حماية النصارى والاجانب الذين لاقنصليات لهم من البلدان الاوربية، وكانت هذه الحماية مرتبطة بنظام الامتيازات الاجنبية التي بدأ العمل بها مابين السلطان الكبير سليمان القانوني وملك فرنسا فرنسوا الاول، وتصف التقارير القنصلية دوافع تدخل القناصل على الشكل الاتي حسبما يذكر تقرير صادر في تشرين الاول/ اكتوبر ١٨٤٢:

(وعد شخصان من التابعية الاوربية زوجيهما واخواتهما بالنزهة ليلا في اسواق بغداد التي تبقى مضاءة ومأهولة بالناس حسب العادة في شهر رمضان المبارك، وكان بصحبتهن ابن احداهن وخادم مسيحي من البلاد، وعند خروجهن من احد الاسواق احاط بهن خدم الشابا واقتادوهم الى رئيس البوليس، وعندما علم احد الازواج بالخبر ركض الى المكان ووجد صعوبة بالغة لمقابلة رئيس البوليس الذي اعتذر منه وطلب عدم اشاعة الخبر، متحججا بأن هؤلاء النسوة كن يلبسن حجاب النساء التركيات، فخالج بعضهم الظن انهن نساء مسلمات يخرجن بصحبة نصراني، ولكن الزوج اعلن بأنه لن يمتنع عن اخبار القنصل العام الفرنسي، حاميه، واسرع الى القنصلية الفرنسية، كان الوقت حوالي منتصف الليل، فارسلت مساعدي الى الشابا طالبا العدالة، وبعد بعض اعتراضات من الباشا رفضها المساعد طلب مني رئيس البوليس الذهاب لتقرير العقاب الواجب انزاله به ثم جاء الى القنصلية ومعه حاشية وطلب مني العفو، فاعطيته له بموافقة الزوج الاخير، ولكن لما كانت الاهانة التي لحقت بالاوربيين علنية، طلبت باصرار توقيف الذين احتجزوا النساء ووضعهم في الزنزانة وفي اليوم الثاني كان الغلق قصاص هؤلاء امام منزل البوليس وبحضور مساعد القنصل)..

مثال آخر من عام ١٨٥٢ تخبرنا عنه رسالة مرسلة من القنصلية في ١٥/ حزيران/ ١٨٥٢: (اهان احد اصحاب الحوانيت الاتراك رجلا من التابعية النمساوية في البازار، وكانت المشكلة بسبب كلمة حادة استعملها النمساوي في جوابه على تركي، فوقف الحانوتي الى جانب التركي ووضع اليد عليه قائلا له بأنه لايجوز اهانة تركي.. فطلبت من الباشا وضع صاحب الحانوت في السجن، وهذا ما تم بالفعل في وضح النهار في وسط البازار، وتدخل عدد كبير من شخصيات البلد عند النمساوي لصالح السجين الذي طلب كل الاعتذارات الممكنة، فما كان من النمساوي الاّ ان طلب مني المساهمة في اطلاق سراح الرجل، فارسلت للباشا اشكره على الحماسة التي ابداها لتلبية طلبي بتوقيف الرجل معلما اياه بأن طلبي لم يكن وليد رغبة بالانتقام، ولكن باعطاء المثل على انه لايجوز اهانة الاوربيين من دون سبب.

ولكن هذه الحادثة تبدو غريبة في عصر كان فيه الاوربيون، حتى الديبلوماسيون منهم، يتعرضون للاهانة علنا ويتعرضون للالقاء في السجون والمحاكمة من دون ان يكون بالمستطاع التعويض عن ذلك.

وكانت الحماية القنصلية تشمل ايضا موظفي القنصلية حتى الخدم فأحد القناصل يشتكي في عام ١٨٤٢ انه انتظر ٢٠ يوما للحصول على حقه من تركي تاجر وغني ضرب احد خدم القنصلية، واخيرا اقتيد المذنب الى القنصلية ووضع بتصرفي، وبعدما وجهت اليه تأنيبا قاسيا، قبلت اعذاره المبنية على جهله بانه في تصرفه يتعرض لخادم موظف في قنصلية، وينبغي القول ان حاكم الولاية في تلك الحقبة، اذا ما صدقت تقارير القناصل، كان من اصل وضيع كثيرا، لايعرف القراءة والكتابة، لاقواعد عنده، لايحترم شيئا ولاحماسة له، لانه وحش بقدر ماهو مخبول، والقنصلية في ايامه كانت عرضة للاعمال الاكثر اثارة للحمق.

وكان القناصل يتدخلون لصالح الرعايا المسيحيين فتارة يتدخلون لتخفيف مزاجية الحكام المحليين او لتطبيق القوانين الجديدة التي كانت تصدر عن السلطان وحكومته، او التوسط لارجاع المخطوفات من النساء والفتيات على يد الجنود ورجال العصابات ويروي احد القناصل قصصا عن هذا الموضوع فيقول: انه في عام ١٨٤٠ نجحت القنصلية في بغداد في تحقيق حمايتها للكاثوليك عملا باحكام الامتيازات الاجنبية، فقد نجح في تحرير امرأة من العبودية بعد خطفها منذ خمس سنوات من زوجها ومن عائلتها، حيث كانت في حريم الباشا منذ ثلاث سنوات، ولئن نجح في تخليص المرأة من الباشا الذي كان لايجرؤ احد على رفع صوته بوجوده، فهو قد فشل في تخليص ابنتها فبادر خلفه الى مفاوضات صعبة وسرية والى اطلاق سراح الفتاة من حريم الباشا ليلا وباعطائها لوالدها.. وكان للقنصلية الفرنسية احتفالات واعياد كثيرة، والاحتفال الاكبر بالنسبة الى الفرنسيين في العراق كان العيد الوطني.. وفي القرن التاسع عشر توقفت الاحتفالات بالعيد فترة ممتدة من ١٨١٥ الى ١٨٤١ لعدم وجود ممثل لفرنسا في تلك البلاد، ولكن في ١٩٤١ استلم القنصلية (البارون دو ويمار) كقنصل عام لفرنسا فبادر الى اعادة الاحتفالات منذ السنة التالية وكانت اولى احتفالاته في عيد ملك فرنسا، حيث ذهب الى كنيسة اللاتين ومعه افراد القنصلية والوطنيون وكافة اعيان التجار الكاثوليك في البلاد، ويروي تقرير في العام ١٨٤٢ قصة اعادة الاحتفالات فيقول: وسار الموكب في المنطقة التركية من بغداد ولم يبد على السكان المصطفين على طول الطريق اي امتعاض من المنظر الجديد بالنسبة اليهم، وفي المساء كان موجودا في القنصلية، رئيس اساقفة السريان ورؤساء اكليروس المذاهب المختلفة والعائلات الاساسية البالغة مئتي عائلة مما يشكل الف شخص كلهم في قنصلية فرنسا التي كانت مضاءة بطريقة ممتازة حيث كانت الموسيقى العسكرية للفرق التركية تعزف سمفونية في جزء من الليل رسم الملك، كان مضاء باحرف من نار، وموضوعا على رأس هرم مضاء، ويرى حتى في الصحراء ويشد الناس الى ضفاف دجلة لرؤيته..

ومنذ ذلك الوقت كانت الحفلة تتكرر والمبعوثون الديبلوماسيون يقدمون التقرير عنها سنويا بصورة دقيقة وبكلمات تكرر نفسها، وكانت الحفلات لاتخلو من احداث مشؤومة فمثلا في ١٨٤٤، كانت الحامية تطلق مدافع التحية الملكية، فانفجرت الحشوة وقطعت يد المدفعجي وجزءا من ذراعه وجرح رأسه وحرقت عيناه من البارود.

وكان للقناصل في العراق مواقف مما يجري في فرنسا من تغيرات سياسية تعلو فيها الملكية لتعود فتهبط لتحل مكانها الجمهورية ففي عام ١٨٤٨ بادر قنصل بغداد الى اعلان اتحاده بالحكومة الجمهورية ومعه اعضاء السلك والمواطنون الفرنسيون الساكنون في بغداد، كما عمد الى تشجيع قنصل الموصل على القيام بعمل مماثل.

وكان لمرور شخصيات مهمة في بغداد اثر في قيام احتفالات ضخمة فمرور مثلا سفير فرنسا في طهران كان مناسبة لاحتفال كبير تصفه التقارير القنصلية.

الجالية الفرنسية في العراق كانت ضعيفة اجمالا وهي تشمل المراسلين الدينيين والتجار والعلماء وعلماء الاثار، والموظفين في خدمة الحكومة العثمانية وبعض الموظفين الجزائريين لان الجزائر كانت قد خضعت لفرنسا وبعض الاجانب الذين تكفل فرنسا رعاية شؤونهم خارج بلادهم وبرغم قلة العدد كانت المشاكل موجودة بين اعضاء هذه الجالية، خاصة بين قناصل ومعتمدي الولايات الثلاث العراقية، وكان للقناصل حق العدالة على تابعيهم عملا باحكام نظام الامتيازات الاجنبية، وكان لهم الحق بطرد مواطنيهم وفي طرائف ذلك، انه في نهاية القرن التاسع عشر وقعت سيدة فرنسية كبيرة في غرام شيخ عربي شاب بعد اقامتها بضعة اسابيع في عاصمة الرشيد.. وادى ظهور هذه السيدة علنا مع الشاب في اسواق المدينة الى فضيحة، فبدأت السوقة باهانتها واحتارت الادارة المحلية في امرها واتعبت القنصلية الفرنسية التي ارتاحت منها بتشجيع ذهابها الى بلاد فارس بعد انذار السفير الفرنسي في طهران بسلوكها الذي سيثير الشكوك حيثما حلت.

واضافة الى الفرنسيين كان يوجد في الموصل وبغداد ممثلون لبريطانيا العظمى ولفارس، العلاقات بين الفرنسيين والانكليز كانت سيئة ولكنها بدأت تميل تدريجيا الى السلام والصداقة في نهاية القرن وبعد توقيع الاتفاق الودي الفرنسي الانكليزي، اما قناصل فارس فكانوا يهتمون بالشيعة، وفي عام ١٨٨٣ اصبح لروسيا قنصلها في الموصل ولكن هذا الاخير لم يحسن التصرف فاتهم بالتجسس لصالح دولته، اما المانيا فلم تهتم بتمثيل دبلوماسي لها في العراق الاّ في مطلع القرن العشرين..

هكذا كانت صورة العراق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ويعود الفضل في تعرفنا الى واقعها السياسي والجغرافي والاجتماعي والاقتصادي والقنصلي الى تقارير القناصل الفرنسيين التي اهتم بجمعها السيد (بيار دو فوشيل) منذ سنوات عدة والتي ماتزال مجهولة تقريبا، والناس تعودوا العودة الى الارشيف البريطاني وغيره من المحفوظات الاجنبية التي على اهميتها لا تعطي الاّ فكرة معينة تعبر عن وجهة نظر مرتبطة بحكومة بريطانيا، ولكن اذا ما اضيف اليها الارشيف الفرنسي، برغم الدور الصغير الذي كانت تلعبه فرنسا في تلك البلاد انذاك، تصبح صورة تاريخ العراق اكثر وضوحا مع ضرورة الحذر من المبالغة ومن الخلفيات والدوافع التي تنطلق عادة من مصلحة شعوبها لا من مصلحة الشعب العراقي ومن حقائقه الاساسية التي قد تغرب عن بال الغربيين.

المهداوي نائما في وزارة الدفاع

والدي المهداوي كما عرفته

فراس فاضل المهداوي

كان المهداوي منشغلا بحلاقة ذقنه حين رن جرس الهاتف في ذلك الصباح الرمادي الكالح المحمل بصقيع شباط المريب والمفجع..

رد المهداوي على المتكلم في الطرف الاخر كما هي عادته دائما حين يرن جرس الهاتف، كان المتكلم اجش الصوت مرتعبا يرشح حقدا وكراهية وكان يتوعد على طريقة الجبناء حين تؤاتيهم الفرص..

كنا نستعد لتغيير ملابسنا حتى نرافق الوالد كعادتنا في ايام الجمع اما للتنزه او زيارة بعض الاصدقاء او الذهاب الى الكاظمية، اما في هذه الجمعة فكان موعدنا في المركز الثقافي السوفييتي لمشاهدت احد افلام الحرب العالمية الثانية.

بعد هذه المكالمة فتح المهداوي المذياع فسمعنا بيانات الانقلابيين والتي تعلن عن مقتل عبدالكريم قاسم وبدء العهد الجديد.

ارتدى والدي ملابسه العسكرية على عجل وطلب من رئيس العرفاء اسماعيل المسؤول عن فصيل الحماية المكلف بحراستنا تحضير السيارة العسكرية مع جنديين بكامل اسلحتهم والتحرك فورا الى وزارة الدفاع.

بعد دقائق طرق الباب وكان الطارق ملازم غازي ولا اتذكر اسم ابيه مع اخي الاكبر صادق وكان رئيس عرفاء مظليا، كان ملازم غازي يقود سيارة مرسيدس زرقاء طلبوا من الوالد اصطحابهم كي يتوجهوا الى كردستان لمعرفتهم بالعلاقة الجيدة التي تربط المهداوي بقيادة الحركة الكردية والتي لم تتأثر اطلاقا بالعمليات العسكرية التي قام بها الجيش ضد الشعب الكردي آنذاك، انتهرهم المهداوي وطلب منهم التوجه الى وزارة الدفاع او معسكر الرشيد للدفاع عن الثورة.

بعدها غادر البيت برفقة رئيس عرفاء اسماعيل وجنوده، قطعت عليهم الطريق مجموعة من قطعان الحرس القومي التي بدأت تنتشر في شوارع بغداد حين سمعه البيان الاول للانقلاب..

امر المهداوي مرافقيه ان يطلقوا النار عليهم ومواصلة الطريق كان هذا آخر عهدنا بالمهداوي..

لم يتخاذل ولم يتردد ولم يتراجع كما يتحرض البعض بل برز الى مضجعه كبطل مغوار وخاض معركته الاخيرة ليومين متتاليين واستشهد وهو يهتف (يحيا الشعب)..

بقينا في البيت تسيطر علينا مشاعر الخوف والقلق والحزن.. ام وحيدة وسبعة اطفال والمذبحة تقترب والسماء ملبدة بنذر شريرة اقترب النهار من منتصفه ونحن لاندري ماذا نصنع اعدت لنا الوالدة طعام الغذاء كان رزا احمر مع حساء ولحم احضرته على عجل البعض منا اكل قليلا والبعض لم يستطع وانا منهم ومازلت منذ ذلك اليوم لا استطيع تناول الرز الاحمر او حتى مجرد النظر اليه.

قبيل العصر سمعنا اصوات جنازير دبابات تقترب من البيت (كان بيتنا في المسبح) شعرنا برعب حقيقي وانكفأنا على بعضنا لاندري ماذا نفعل واذا بعريف مطر وهو الوحيد الذي بقي من فصيل الحماية معنا.

طالب منا مغادرة البيت فورا وعدم الخروج من الباب الرئيسي بل الصعود الى السطح وتسلق شرفات البيوت المجاورة (كان المهاجمون يعتقدون بأن المهداوي مختبئ في البيوت حيث لم يعلموا من هم الموجودون في وزارة الدفاع مع الزعيم عبدالكريم قاسم ولا عددهم الحقيقي..

تسلقنا شرفات الدار بمساعدة عريف مطر ونحن لم نزل في ملابس النوم وحفاة وكانت الوالدة معنا كنا سبعة: مناضل نضال منوّر افاء فراس نوال وفرند..

عبرنا اربعة اسطح ثم نزلنا على سطح مرآب الالبانية والتي كانت مجاورة لنا. شعرنا بنوع من الاطمئنان حين بدأنا النزول الى باحة السفارة من على سلم خشبي كان منصوبا هناك، طرقت والدتنا باب السفارة الذي كان موصدا فأطل بعض موظفي السفارة من الشرفة وكان احدهم يتحدث العربية فسألنا من نحن وماذا نريد فاخبرته الوالدة بمن نكون ولماذا جئنا الى هنا لكنه اعتذر عن مساعدنا وطلب منها أن تنتظر داخل المرآب الى ان ينظر مسؤولو السفارة في الامر.

ذهبت بنا الوالدة للمرآب وكان مفروشا بالتبن فبقينا داخله الى ان انتصف الليل وحين لم يأت النيا احد ارسلت امي مناضلا ليطرق بابهم ثانية ويطلب المساعدة فقد اشتد بنا البرد والجوع والقلق وبعد ان اتى مناضل يطرق الباب اطل نفس الشخص الذي كلمنا اول مرة ورمى له بكمية من الخبز والمعلبات طالبا منه عدم ازعاجهم ثانية فرجع الينا بما معه وبعد ان اكلنا قليلا نمنا ملتحفين ببعضنا والوالدة فوقنا معتقدة انها ستبعث الدفء في اوصالنا المتجمدة..

بقيت حالتنا الى يوم ١٥ شباط حينها نزل الينا الموظف الذي كلمنا في اليوم الاول وطلب منّا مغادرة المكان متذرعا بهدوء الوضع ورفع منع التجول خلال ساعات النهار.. خرجنا الى الشارع العام ونحن نصف موتى من شدة ما عانيناه في اليومين الماضيين قررت الوالدة ان نذهب الى بيت عمتي فاطمة المهداوي وكان زوجها العميد الركن محمد حسين صبري كان بيتهم في دور الضباط وطلبت من مناضل ومنوّر ان يسبقونا الى هناك لدرء الشكوك من حولنا حيث كانت حواجز الحرس القومي منتشرة على كافة الطرقات ثم اوقفت سيارة اجرة كانت مارة من هناك ورجت من سائقها ان يوصلنا الى دور الضباط فقال لها اركبوا وبدا عليه الاستغراب من منظرنا واشكالنا المتعبة اتذكر ان السيارة اوقفت في ساحة مرجان من قبل حضيرة من الحرس القومي سألوا السائق عن كلمة السر فأجابهم ((سالم)) حينها سمحوا له بالمرور بعد ان تطلعوا فينا مليا دون ان يعرفونا طبعا ودون ان يسألونا شيئا..

بعدها سألت الوالدة السائق عن اخبار الانقلاب فاستغرب من سؤالها واجابها بسؤال آخر قائلا هل بقي احد في العراق لم يعرف بأن الزعيم قتل فامتقع لونها وسألته ثانية (خالة والمهداوي)؟ فأجابها بأنه قتل مع الزعيم هو الاخر ألم تشاهديهم في التلفزيون؟..

حينها انتابها حالة من النواح ولكن بصوت منخفض محاولة السيطرة على مشاعرها حينه كانت تعلم ان هذا الموقف يحتاج الى جلد استثنائي..

وصلنا بيت عمتي وطرقنا الباب فخرجت عمتي وهي متشحة بالسواد وما ان رأتنا حتى اجهشت بالبكاء طلبت منها الوالدة ان تدفع اجرة السيارة ففعلت ثم ادخلتنا البيت كان زوجها موجودا ايضا سألتهم امي عن مناضل ومنوّر فقالوا انهم لم يصلوا بعد وحين مضى الوقت ولم يأتوا استبد بنا القلق فطلبت عمتي من زوجها ان يستفسر عنهم فاتصل بعبد السلام عارف راجيا اياه ان يساعد في العثور عليهم (كانوا قد اعتقلوا في الطريق حيث تعرف عليهم احد افراد الحرس القومي) فوعده عبدالسلام بأنه سيفعل ثم سأله ان كان بامكان عائلة المهداوي الرجوع الى بيتهم فأجاب بنعم وانه سيرسل مجموعة من الجنود لحمايتهم خشية ان يتعرض لهم احد..

سمعت والدتي مادار في هذه المكالمة وبعد ان اكد لها العميد محمد حسن صبري ما قد سمعته عرض عليها ايصالنا الى البيت بسيارته الخاصة فوافقت وكانت هذه رغبتها ايضا..

وصلنا الى البيت وحين دخلناه وجدنا كأن اعصارا قد عصف به حيث تبين لنا من خلال الخراب الذي حل به انهم فتشوا عن المهداوي حتى في دفاترنا المدرسية

كانت السماء حمراء مغبرة
ترسل سياطا من البرد الازرق
وكانت لنا سدرة في الحديقة.. اعشقها..
وحين رجعنا.. ركضت اليها..
كأني اريد بأن اتأكد هل هذه سدرتي؟.
نعم هي تلك.. وقد نفضت نبقها.. واوراقها الصفر
تغطي صدر التراب..
انها ثاكلة..
تبكي عصافيرها النازفة..
من هنا صرت اعرف حزن الشجر..
ياسدرتي..
سدرة المنتهى انتِ
ياسدرتي

وقبل ان يمضي الاسبوع الاول من مهرجان الدم هذا طرقت بابنا مفرزة الشرطة يقودها عقيد وبينهم مدني واحد يحمل دفترا كبيرا يشبه سجلات النفوس بعد ان فتحنا لهم الباب سأل العقيد ان كان هذا هو بيت المهداوي فردت عليه والدتي بالايجاب طلب منها ان تسمح له بالدخول وجرد محتويات البيت لغرض وضع اليد عليها وحجزها فردت عليه بأن يتفضل وينفذ ما امر به..

لم نكن نملك غير جهاز التلفزيون وادوات مطبخ ومكتبة واسرّة نوم وسجادة قديمة

عبرنا اربعة اسطح ثم نزلنا على سطح مرآب الالبانية والتي كانت مجاورة لنا. شعرنا بنوع من الاطمئنان حين بدأنا النزول الى باحة السفارة من على سلم خشبي كان منصوبا هناك، طرقت والدتنا باب السفارة الذي كان موصدا فأطل بعض موظفي السفارة من الشرفة وكان احدهم يتحدث العربية فسألنا من نحن وماذا نريد فاخبرته الوالدة بمن نكون ولماذا جئنا الى هنا لكنه اعتذر عن مساعدنا وطلب منها أن تنتظر داخل المرآب الى ان ينظر مسؤولو السفارة في الامر.

شقت من وسطها بفعل تقادم الزمن.. دهش العقيد ومن معه لهذا الاثاث الامبراطوري ثم سألنا هل هذا كل ماعندكم فأجبناه نعم فقال اين ملاعق الذهب اين السجاد الايراني اين الكرستال البوهيمي؟.
ثم طوّح بيده في الهواء ماطا شفتيه بسخرية ظاهرة وغادر البيت مع جماعته خجلا دون ان يفتحوا دفاترهم.
كانت محكمة الشعب محكمة شعبية حقا وكانت تحظى بدعم وتعاطف جماهيري واسع وكان لشخص المهداوي دور كبير في اثارة عواطف الجماهير وحماستها لاسلوبه الساخر وتعليقاته الظريفة والتي كانت توقع المتهمين في احيان كثيرة في تناقضات تبين من خلالها كثير من الحقائق ما يساعد المحكمة على انجاز مهمتها بنجاح.
لم يمثل اي متهم امام المحكمة بدون وجه حق ولم تلفق التهم جزافا ولم يمنع اي من المتهمين من توكيل محام او اكثر ولم تنتزع اعترافات المتهمين بالاكراه ومن يسمع باسماء من مثلوا امام محكمة الشعب ويتابع ادوارهم بعد عهد عبدالكريم قاسم يتأكد بأن المهداوي لم يظلم احدا منهم.
كما كانت المحكمة منقولة على الهواء مباشرة وتشاهد وقائعها من قبل ملايين المشاهدين داخل وخارج العراق وغالبا ماكان بعض المتهمين يهاجم رئيس المحكمة او هيئة الادعاء العام دون خوف او وجل كما كان مبدأ الرحمة فوق القانون هو سيد الاحكام ليعلم ابناء الشعب ان المحكمة التزمت جانب العدالة في احكامها فانها تكتب للتاريخ وتسجل للاجيال القادمة، لم تتحمس لهياج المندفعين ولم تتأثر بميوعة الخائرين ولكنها لم تنس المحافظة على روح الثورة ومبادئ الجمهورية وحقوق الشعب.
كان المهداوي نظيف اليد عف اللسان كان يرفض الراتب المخصص له كرئيس محكمة بل كان يتسلم راتبه الوظيفي فقط كضابط في الجيش كذلك كان لايسمح بتداول اية الفاظ بذيئة في المحكمة قد ترد من باب الاستشهاد حتى كان يرد على احد الشهود بقوله:
الناس الشرفاء لايطيقون سماع الكلمات البذيئة وانا بهذا الموقف انصح المواطنين كافة ان يهذبوا الفاظهم في مثل هذه المواقف وخاصة في مجتمعنا..
كان لاذاعة صوت العرب ومذيعها احمد سعيد الدور الكبير بتشويه سمعة محكمة الشعب والنيل من رجال الثورة الشرفاء حيث شنت حملة مضللة ومسعورة يساندها كل من ذهبت الثورة بمصالحه فاستخدمت الشعارات العظيمة والمقدسة لاغراض دنيئة ومشبوهة ووزعت الاموال بدون حساب على المجرمين والقتلة وعديمي الضمير لغرض النيل من كرامات الناس الذين وقفوا مع الثورة وساندوها ودخلت الاسلحة عبر الحدود وقاد الشواف عصيانه الشهير بحجة سخيفة (ايقاف حشود انصار السلام ومنعهم من اقامة مهرجانهم في الموصل).
وكان العصيان كما ادعى قادته هو خطوة على طريق الوحدة العربية واي وحدة تتم بسلخ الموصل عن العراق؟!.
(كانت زوجة الملازم الاول كامل اسماعيل احد المشتركين في عصيان الشواف انكليزية وكانت تطلق النار من رشاشة استرلنك على جموع المتظاهرين في الموصل).
وكان حزب البعث بقيادة عفلق المشبوهة من اشد المناوئين للثورة منذ ايامها الاولى وقام بطرح شعارات طوباوية لانصيب لها من التطبيق الناجح في الواقع العملي مثلا شعارات الوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة والذي استخدم كغطاء للتآمر على الثورة وبالتعاون مع كل القوى المعادية اقليميا ودوليا.

المهداوي في محكمة الشعب

تاريخ أرقام السيارات في بغداد من 1 إلى 23 بالتفصيل

١- Iraq - Baghdad
رقم (١ بغداد) كانت من خاصية الحاج سليم خورشيد مدير الشرطة العام في بدايات العهد الملكي . وبعد وفاته انتقل الرقم إلى الزعيم (العميد) عبيد عبد الله المضايفي (الحجازي الأصل) والمرافق الأقدم للأمير عبد الإله الوصي على عرش العراق وفي الستينات من القرن الماضي ، تقدم العميد سعدي القره غولي بطلب إلى مدير إدارة الجيش بإعادة الرقم (١ بغداد) إليه ، كونه يعود بالأساس إلى الحاج سليم (والد زوجة القره غولي) والذي آل فيما بعد إلى اللواء عبيد عبد الله المضايفي – كما أسلفنا في مستهل مقالنا –. ثم قام اللواء القره غولي بتقديم طلبات أخرى إلى مديرية الأموال المجمدة – كما نصحه بعض المطلعين ، بحسب أن أموال الأسرة المالكة وحواشيها كانت مجمدة – طالباً منها إبداء الرأي بخصوص ذلك . فردّت عليه المديرية بكتاب رسمي ذكرت فيه أن أرقام السيارات ليست أموالاً ... ثم هي ليست مجمدة ، ولا يعود إليها البت في الموضوع ... وهكذا طوي الموضوع نهائياً.
٢- Iraq- Baghdad. السيارة رقم (٢ بغداد) كانت عائدة للتاجر اللبناني وكيل شركة فورد للسيارات جورج عابديني (شريك رشيد عالي الكيلاني).
٣- Iraq - Baghdad الرقم (٣ بغداد) فكان من خاصية رئيس الوزراء الأسبق في العهد الملكي علي جودت الأيوبي ، بعد أن انتقل إليه من السيد مزاحم ماهر مدير الشرطة العام ومتصرف لواء بغداد فيما بعد في العهد الملكي ، وهو الآن لدى آل خربيط (تجار وصناعيون من أهل الرمادي
). ٤- Iraq Baghdad الرقم (٤ بغداد) فكان لنشأت السنوي أمين العاصمة في العهد الملكي
٥- Iraq Baghdad والرقم (٥ بغداد) للوزير في العهد الملكي فخري الطبقجلي. Iraq Baghdad
٦-كانت عائدة لرئيس الوزراء الأسبق في العهد الملكي جميل المدفعي
٧- Iraq Baghdad تعود ملكية هذا الرقم لشهاب الدين الكيلاني.
٨- Iraq Baghdad تعود ملكية هذا الرقم لجلال الدين بابا الوزير في العهد الملكي.
٩- Iraq Baghdadهذا الرقم يعود لرشيد عالي الكيلاني.
١٠- Iraq Baghdadتعود ملكية هذا الرقم الى حسام الدين جمعة متصرف لواء الموصل وانتقل الى الدكتور قيس استاذ في كلية الزراعة والغابات في جامعة بغداد واللذي قتل في عام ٢٠٠٣ على ايدي قوات الاحتلال.
١١- iraq Baghdadهذا الرقم تاريخة مجهول ولا احد يعرف من اول شخص امتلكة للأسف. ١٢- Iraq Baghdad
هذا الرقم تعود ملكيته الى ناجي الاصيل مدير الاثار العام في العهد الملكي والذي صار وزيرا ثم انتقل الى السيد جبار الراوي مدير الشرطة العام وعندما اصبح عبدالجبار الراوي متصرفا للعمارة قام السيد عبدالقادر العاني باعطائه رقم ٤ كوت واخذ منه رقم ١٢ بغداد وبعد اخفاق حركة الشواف طلب عبدالجبار مهدي العزاوي الرقم ومن ثم باعه الى اسرة ناجي الاصيل ثم استعاد ابن اخ عبدالقادر العاني الرقم مرة اخرى حيث اشتراه من ابنة ناجي الاصيل واسم ابن اخ العاني عبدالهادي عبدالجبار مهدي العزاوي وكان الرقم موضوع على رينو ١٦ صفراء والرقم موجود الان في محافظة نينوى على سيارة من نوع بي ام دبليو. ١٣- Iraq Baghdad غير معروف أول مالك لهذا الرقم.
١٤- Iraq Baghdadكان هذا الرقم من خاصية النائب المسيحي عن الموصل انطوان شماس في العهد الملكي
١٥- Iraq Baghdad يعود الى التاجر والصناعي عبد المنعم الخضيري ثم اخذه السيد احمد عبدالجبار كشمولة ومن ثم اهداه ال المقاول الموصلي فالح مال الله الصفار ومايزال عند اسرته لحد هذا اليوم.
١٦- Iraq Baghdad فهو من خاصية سيارة رؤوف الجيبه جي علما انه الرقم مشدود علة سيارة رانج روفر سوداء اللون موديل ١٩٩٩ وموجودة الان في دهوك.
١٧- Iraq Baghdadهو من خاصية السيد سعد عباس التميمي.
١٨- Iraq Baghdadيعود هذا الرقم الى ناجي شوكت رئيس وزراء اسبق في العهد الملكي.
١٩- Iraq-baghdadهذا الرقم لا يعرف مصيره ومن مالكه ٢٠- Iraq - baghdad بقي هذا الرقم زمنا طويلا خاصا لسيارة نوري السعيد ٢١ ..!!!!!؟
٢٢- Iraq - baghdadهذا الرقم عائد الى رؤوف البحراني وزير مالية اسبق في العهد الملكي.
٢٣- Iraq- baghdadفكان من خاصية سيارة التاجر النجفي الثري عبد المحسن شلاش ووزير الاقتصاد في العهد الملكي

اول سيارة دخلت بغداد

الحاج راضي يقول : بكرة القدم طار اظفري وبالملاكمة تمزقت اضلعي وبالمصارعة ذقت الويل

الفنان سليم البصري شخصية قريبة إلى القلب ، فهو يجمع بين الاصالة والواقعية .. لايتقمص الشخصية بالتمثيل بقدر مايفرضها كحقيقة !! .. وسليم البصري فنان موجود بيننا يحاكينا عن الماضي ويرتبط معه بالحاضر من غير (فجوة) أو افتعال فهو من ذلك يخاطبنا بعمق ووجدانية .. عرفته الجماهير بشخصيته التلفزيونية (حجي راضي) ولكنها لم تعرفه لاعباً بكرة القدم ولا بطلاً بالملاكمة ولا مصارعاً يحسن الانقضاض بحلبة الصراع .. فاذا أردت ان تسمع المزيد فتعال معنا ننصت بمتعة لحديث الفنان سليم البصري ...

• .. يقول على الرغم من نحافة جسمي كنت شغوفاً جدا بممارسة الرياضة وفعالياتها بأنواعها كافة وقد لاقيت كثيراً من المشكلات والمآزق جراء هذا الشغف ..وسأذكر ما علق بذهني منها .. في السابق لم تكن كما في الوقت الحاضر ساحات للعب الكرة بل هناك أراض كما لم تكن لدينا (نحن الصغار) الإمكانات المادية لشراء مستلزمات اللعبة .

. لعبت كرة القدم مع أبناء المحلة وكنا نتبارى مع (المحلات) الأخرى وكان معظمنا يلعب حافياً وكانت الكرة كومة قماش متداخلة مع بعضها على شكل كرة ومن ضربة (شوت) قوية اصطدم إصبع قدمي بحجارة (وأطار أظفري) ومن يومها تركت هذه اللعبة كلاعب لكنني بقيت أتابعها كمشاهد..

ولم ينقطع الحب عن ممارسة الرياضة بسبب تركي كرة القدم بل تحولت إلى ملاكم .. وذات يوم تلاكمت مع زميل لي بالمدرسة وكنت في ذلك الوقت في (مدرسة العوينة الابتدائية) .. بالبداية كان اللعب وديا وبه شيء من المجاملة ولكن عندما وجدت وجهه مكشوفاً سددت إلى فكه مستقيمة قوية تألم منها وإذا به يسدد هو الآخر مقلاعاً جاء على أضلعي شعرت في حينها بشدة اللكمة ومازلت حتى هذه الفترة أتألم أحياناً من موضعها برغم طول السنين ..

انقطعت علاقتي بالملاكمة واتجهت إلى السباحة وسكنت في حينها النهر وشريعة سيد سلطان علي وكنا نستمتع بالغطس من تحت (الدوبة) وفي أحد الايام غطست من جانب (الدوب) لأظهر من الجهة المقابلة وكانت المسافة بحدود الستة أمتار .. وإذا بخصلة من شعر رأسي تلتف حول أحد النتوءات البارزة من جسم هذه السفينة وحاولت جهدي أن أتخلص من هذه الكماشة وكاد نفسي ينتهي لو لم أبادر بقطع هذه الخصلة بهزة رأس عنيفة لأنجو من موت أكيد !!..

وهربت من السباحة والتحقت بجفرة المصارعة التي كانت هي الاخرى على شواطىء دجلة .. وبالمصارعة تعرضت لما هو اشد عذاباً حيث جاء أحد الايام غريب لم نعرف له ارتياداً مع الدائمين من صحبنا وكان مفتول العضلات قوي البنية وقف وتحدى جميع المصارعين فلم ينازله احد !! غضبت لموقف زملائي الضعيف فتحديته وكنت لا أملك اي خبرة بالمصارعة وقد اقتربت منه فلم اجد نفسي إلا معلقاً بالهواء وبالتالي أعود إلى الارض وتكررت الحالة وأنا اتحمل على مضض ولكن مشكلتي زادت عندما مسكت إحدى ساقيه فقد جلس على الأرض وأخذ يقلبني بساقيه تارة لليمين وأخرى للشمال وأخيراً ربط أطرافي وأخذ يزحف بي على طول قوس الحفرة .. تمزق ظهري وسالت مني دماء وبقيت أسبوعين من غير حركة !! ..

ومرت الأعوام ودخلت كلية الآداب وبقدرة قادر انتخبت رئيساً لجمعية الرياضة بالكلية وكان المشرف الرياضي المرحوم الأستاذ مجيد السامرائي وهذا ببداية تأسيس كلية الآداب .. وفي سباق الكليات بألعاب الساحة والميدان اشتركنا ببعض السباقات ولكن رفض الجميع المشاركة بسباق طفر الموانع فاضطررت لأن أشارك بهذا السباق ظناً مني إنه من السباقات السهلة .. وما أن أطلقت أشارة الانطلاق وإذا بي أتأبط أحد الموانع واشتبكت به وتدحرجت معه عدة مرات وسط ضجيج هائل من الضحك المتواصل من جمهور الحاضرين ..

• .. إن هذه المقالب والأحداث أكدت لي أن الرياضة يجب أن تمارس وفق مؤهلات الرياضي وتخصصه بلعبة واحدة يطور من خلالها نفسه ويديم تقدمه بالمران والمثابرة .. وأنا بعد أن تجاوزت بي سني الحياة أصبحت أشاهد برغبة مباريات كرة القدم وخصوصاً الدولية منها عندما يكون منتخبنا أحد الأطراف المتبارية ولا أخفي سراً فأنا أتألم للهزيمة ويسعدني الفوز كثيراً وأفضل من الفوز عندي العرض الجيد الممتاز لفريقنا .. وأود أن أشير في ختام هذا اللقاء الرياضي الى أن متاعبي والمقالب التي تعرضت لها هي لأنني كنت أرغب في تحقيق بطولة من غير رصيد يحميني والبطولة لا تتحقق بمجرد وجود الرغبة والطموح بقدر ما هي تدريب متواصل ونضح سخي وصبر ومتابعة مع الاستعداد الظرفي وتوفر الإمكانات

نشر هذا الحديث في مجلة الاذاعة والتلفزيون في العدد 237 **في** 3 **تشرين الأول** 1977

ذاكرة عراقية

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

التحرير : علي حسين
التصميم : نصير سليم التصحيح اللغوي : يونس الخطيب